وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون تيارت

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في تاريخ مغرب الأوسط الوسيط

موسومة بـ:

الحياة الاجتماعية والاقتصادية في مدينة طُبنة

من الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الخامس هجري

من إعداد الطالبات:

سكري تركية

سنوسي سامية

سنوسي فوزية

تحت إشراف الأستاذ:

حاكمي الحبيب

لجنة المناقشة

أ/ ..... رئيسا

أ/ حاكمي الحبيب ..... مشرفا

أ/ ..... مناقشا

السنة الجامعية: 1436هـ-1437هـ/2015م-2016م

بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى في كتابه الكريم

شكر وعرفان:

نشكر الله العلي القدير على فضله العظيم علينا .

ونتقدم بجزيل الشكر والاعتراف بالجميل إلى أستاذنا المؤطر "**حاكمي الحبيب**" الذي ساعدنا بملاحظاته وتوجيهاته القيمة لانجاز عملنا المتواضع .

إلى كل أساتذة قسم التاريخ على إرشاداتهم ورغم شكرنا لهم لن نوفيهم حقهم على مجوداتهم الكبيرة لإيصالنا إلى هذا اليوم .

ومن جهة أخرى لا يفوتنا أن نتقدم بعبارات التقدير والشكر لكل من قدم يد المساعدة من قريب وبعيد لإتمام هذا العمل .

إهداء

إلى من كلله الله بالهبة والوقار . . . إلى من علمني العطاء بدون انتظار . . .إلى من أحمل اسمه بكل افتخار

أرجو من الله إن يمد في عمرك كثرى ثمارا بعد طول انتظار . . . إليك والدي العزيز

إلى التي ضحت بالكثير من اجل أن أربا . . . إلى الصدر الذي يضمني كلما ضاقت بي الدنيا

إلى من تجرعت كأس الشقاء مرا لتسقيني رحيق السعادة . . . إلى أغلى واعز مخلوق عندي

إليك أمي الغالية

إلى سندي وقوتي وملاذي بعد الله . . . إلى من اثرونى أنفسهم . . . إلى من علمني علم الحياة

إلى من اظهروا لي ما هو أجمل من الحياة . . .إخوتي (مروة، شفيقة، الحاجة، غفران، رتاج) وأقاربي

إلى من هو في قلبي ولم يذكره قلمي

إلى الإخوة والأخوات الذين لم تلدهم أمي إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي

إلى من معهم سعدت وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت إلى من كانوا معي على طريق النجاح

والخير

إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني إن لا أضيعهم (سعدية، بشرى، يمينة، فاطيمة، فاطمة، نعيمة،

جهيدة)

إلى زميلتي في العمل فوزية وتركية

إلى أصدقائي

إلى جميع دفعة ماستر 2015 / 2016

سلمية

الإهداء:

قال الله تعالى:﴿ **وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا** ﴾

إلى الذي بكت العين شوقا للقياه إلى الذي يرافقني بدعواته من السماء إلى الذي غاب عن الدنيا،لكنه مازال في القلب والبال على الدوام إلى الذي هو سبب وصولي إلى هذا النجاح أسكنك الله فسيح جنناه أبي الحبيب "الطيب" رحمه الله.

إلى نبع الحنان الدافئ ونور البيت الذي لاينطفيء إلى التي ربتني وأنارت دربي وأعانتني بدعواتها الخالصة إلى أغلى جوهرة في الكون ونور عيني أطال الله في عمرها أمي العزيزة "خيرة"

إلى سندي الكبير بعد والدي أخواتي:محمد،عبد القادر،علي، الحاج، احمد،عبد المجيد والى دلوع البيت أخي الصغير شمس الدين .

إلى أخواتي:فاطمة وزوجها بولرباح وأولادهما احمد حسام الدين،سندس،والكتكوتة غفران إلى فتيحة، نعيمة والى أختي الصغرى وردية

إلى مصدر سعاتي ورفيق حياتي والذي سندني في عملي هذا وتحمل معي كل المتاعب خطيبي **"لحسن"**

إلى صديقاتي ورفيقات دربي عشت معهن أجمل اللحظات العمر وتقاسمت معهن أجمل الذكريات صديقتي المفضلتين:هناء وزهرة، وصديقاتي في العمل:فوزية وسامية

إلى رفيقات بالإقامة: رزيقة،أحلام،مليكة،جهيدة،نصيرة،العالية، مروة، سهيلة وكذلك بنات عمي وهيبة ومليكة .

إلى كل من هم في قلبي وذاكرتي و لم اذكرهم في مذكراتي،إلى كل من ساعدني ولو بكلمة اهدي عملي المتواضع لهم والى كل من يحمل لقب "سكري" ولقب" بلهادي" .

تركية

إهداء

بدأنا بأكثر من يد وقضينا أكثر من هم وعنينا كثيرا من الصعوبات وهنا اليوم والحمد لله نطوي سهر ليالي وتعب الأيام وخلاصة مشوارنا بين دفتي هذا العمل المتواضع

إلى منارة العلم الإيمان بالمصطفى إلى الأمي الذي علم المتعلمين ، إلى سيد الخلق ، إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

إلى الينبوع الذي لا يمل العطاء ، إلى من حكت سعادة بخيوط منسوجة من قلبها إلى والدتي العزيزة «حليمة "

إلى من سعى وشقا لأنعم بالراحة والهناء إلى والدي العزيز

إلى الذي لم يبخل شيء من أجل دفعي لطريق النجاح ، الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر ، إلى زوجي العزيز " **محمد** "

إلى ملاكي التي في الطريق

إلى من حبهم يجري في عروقي ويلهج ذكراهم فؤادي ، إلى إخوتي وأخواتي ، والى كل عائلة سنوسي ومعزوز

الى من سرنا سويا ونحن نشق الطريق معنا نحو النجاح ، إلى من تكاتفت معهم يدا بيد ، صديقاتي وزميلاتي

إلى من علمونا حروف من ذهب وكلمة من درر وعبارات من أسمى وأحلى عبارات في العلم ، إلى من أصغوا لنا علمهم حروفا ومن منارة تنير لنا سيرة العلم والنجاح ، إلى أساتذتنا الكرام . . .

فوزية

مقدمة

مقدمة

لقد شهد المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة حياة اقتصادية واجتماعية رائدة وحركة تنويرية للعلوم والمعارف الإسلامية المختلفة امتد تأثيرها واشعاعتها إلى المدن والعواصم الإسلامية الكبرى في المغرب والمشرق الإسلامي،ومما لاشك فيه إن مدينة طُبنة كان لها تأثير سياسي وحضاري على المغرب الأوسط منذ القرن الأول هجري إلى نهاية القرن الخامس هجري الذي تطورت فيه من مختلف الجوانب فنمت عمرانيا وانتعشت فيه اقتصاديا وازدهرت فكريا، وأيضا اكتسب المجتمع بمختلف فئاته تحضرا وانفتاحا مما ساعد على البناء الاقتصادي للمدينة بمفهومه الواسع واكسب المجتمع ثقافة واسعة ورقيا حضريا أخرجها من طور البداوة إلى طور الحضارة لكن دورها في ذلك لم يظهر في الكتابات التاريخية بوضوح، مما يكفي لمعرفة عوامل هذا التطور فمدينة طُبنة صنعت فصولاً في أحداث المغرب الأوسط ولعبت دورا هاما، لذا فالضرورة تقتضي بدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لأنها الوحيدة التي تكشف لنا عن الظواهر الخفية للمدينة التي بقيت في طي النسيان، فمعرفة هذه الأوضاع هي من أهم الدراسات التي تمكننا من تفسير الكثير من الأحداث التاريخية التي مرت بها المدينة وعايشتها،كما أن الحياة الاجتماعية هي الأساس في بناء أي دولة بدراسة المجتمع الذي هو المادة الأولى للتاريخ تبني الشعوب ويتشكل العمران ويزدهر الاقتصاد .

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا لدراسة هذا الموضوع هو الرغبة في إبراز الجوانب الاقتصادية والاجتماعية لمدينة طبنُة،كما أردنا أن نكون السابقين في التطرق لهذا الموضوع بدراسة هذه الجوانب التي لم تكن لها دراسة قبلية ومعمقة وان المنطقة في طي النسيان،إضافة إلى معرفة مكانة مدينة طُبنة في تاريخ المغرب الأوسط وإبراز الصورة الحقيقية لهذه المدينة التي لعبت دورا بارزا اقتصاديا واجتماعيا وأيضا سياسيا في تاريخ شمال إفريقيا .

فإشكالية موضوعنا كانت على النحو التالي:إلى أي مدى استطاعت مدينة طُبنة إبراز ملامح حياتها الاجتماعية والاقتصادية في تاريخ المغرب الأوسط ؟

وما هي عناصر المجتمع الطبني ودورها في تنشيط الحياة الاقتصادية بطُبنة؟

وفيما تمثلت المؤثرات الداخلية والخارجية على الحياة الاجتماعية؟

وبماذا تميزت الأوضاع الاقتصادية بمدينة طبنة ؟ و ما هو دور النشاط التجاري والزراعي في بناء اقتصاد طبنة؟ وكيف كانت الحياة الثقافية بها؟

وقد اتبعنا في هذا البحث المنهج التحليلي التاريخي الذي يعتمد على الوصف والتحليل بحيث كان الوصف متعلقا بطبيعة الحياة الاجتماعية ووصف مظاهر الرخاء الاقتصادي،أما التحليل فكان في بعض المواضع المتعلقة بعناصر المجتمع وأثارها على الحياة الاقتصادية وتطورها وأيضا ذكر أنواع المعارف وتأثيرها كذلك أنواع العلوم في الحياة الثقافية،ولتوضيح قسمنا هذه الدراسة إلى مقدمة ومدخل والى ثلاثة فصول مقسما إلى مباحث وخاتمة ومجموعة من الملاحق وتناولنها تباعا:

فتطرقنا في المدخل إلى أصل تسمية مدينة طبنة وتحديد مجالها الجغرافي من خلال المصادر الجغرافية وذكر مدينة طبنة من قبل الفتح الإسلامي ثم خلال الفترة الرومانية والبيزنطية ومدى أهميتها في ذلك الوقت وصولا إلى العهد الإسلامي.

وفي الفصل الأول المعنون بالأوضاع الاجتماعية لمدينة طبنة الذي يتضمن ثلاث مباحث فالمبحث الأول تحدثنا فيه عن فئات المجتمع الطبني والتنظيم القبلي الموجود بها، والمبحث الثاني تطرقنا إلى عناصر المجتمع الطبني التي كانت من مختلف الأجناس وكانت متداخلة فيما بينها آما المبحث الثالث فذكرنا مظاهر الاجتماعية التي تعددت فتضمنت عادات وتقاليد المجتمع الطبني وسلوكهم الاجتماعي الذي يتعاملون به إضافة إلى لباسهم وطعامهم .

أما الفصل الثاني فكان عبارة عن دراسة الأوضاع الاقتصادية لمدينة طبنة الذي يندرج تحته أربع مباحث، فالمبحث الأول نتحدث فيه عن المجال الاقتصادي وذلك بذكر حدود مجالها وأهمية المدينة الاقتصادية، والمبحث الثاني عن الصناعة التي كانت عنصر هام في تفعيل الاقتصاد بذكر ابرز الصناعات والمهن التي امتهنها أهل طبنة، أما المبحث الثالث قد اشرنا إلى الجانب الزراعي بالإشارة

إلى ابرز المزروعات المنتجة بالمنطقة وطرق الزراعية المعتمدة آنذاك وكذلك تربية الحيوانات، والمبحث الرابع تحدثنا عن التجارة واهم السلع المتواجدة بها ودور الأسواق في إنعاش الجانب الاقتصادي وابرز الطرق التجارية التي كانت تجعلها جسر عبور للمدن الداخلية والخارجية كذلك،ثم عن التجارة الخارجية أي علاقاتها التجارية بكبريات المدن .

وفي الأخير خاتمة كانت عبارة عن نتائج لما تم التطرق إليه في عملنا هذا ثم بملاحق قصد إثراء عملنا وتدعيمه.

واعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع أهمها:

المصادر الجغرافية:

- ابن حوقل أبو القاسم بن حوقل النصيبي – ت 368ه- 990م- كتاب صورة الأرض الذي كان ذو أهمية كبيرة فساعدنا على معرفة المجال الجغرافي ووصفه لطرق التجارية وابرز السلع والبضائع بها .

- الإدريسي الشريف محمد بن عبد الله – ت 560 ه/1166م- القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مأخوذ من نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،الذي لأغنى عنها في معرفة الحدود الجغرافية لعاصمة إقليم الزاب والمسافة بينها وبين المدن المجاورة لها إضافة إلى أهم المزروعات وذكر بعض أنشطة سكانها والحرف الممتهنة .

- اليعقوبي احمد بن لبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح – ت 284ه/897م- كتاب البلدان الذي استفدنا منه في تحديد المسافات بين البلدان ومعرفة العديد من الجوانب الاقتصادية والجغرافية كذلك .

- البكري أبو عبد الله البكري الأندلسي – ت487ه/1094م- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب وهو جزء من كتابه الكبير المسالك والممالك الذي ساعدنا في وصفه للمغرب عامة وذكر طبنة خاصة جغرافيا .

-المصادر التاريخية:

- ابن خلدون أبو زيد عبد الرحمن بن محمد المتوفى سنة 808ه/1406م- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر الذي هو من أهم المصادر في تاريخ البربر في العصر الوسيط الذي ساعدنا في تحديد مواطن البربر في طبنة .

ابن عذارى، أبو عبد الله محمد المراكشي –ت ق 8ه/14م- البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس الذي أفادنا في الجانب التاريخي المتعلق بطبنة خلال العهد الأغلبي ومكانتها الهامة .

أما عن المراجع التي أفادنا حيث كانت قليلة نوعا ما:

مختار حساني: موسوعة المدن الجزائرية مدن الشرق الذي أفادنا في معرفة المجال الزراعي لمدينة طبنة والنشاط التجاري بها .

موسى لقبال:دور كتامة في تاريخ الخلافة الفاطمية منذ تأسيسها إلى منتصف القرن الخامس الهجري 11م الذي أفادنا في توزع القبائل البربرية بمنطقة طبنة .

أما عن الصعوبات التي واجهتنا فعملنا فوالها قلة المادة العلمية وشحها المتعلقة بمدينة طبنة، وكذلك عدم وجود دراسات قبلية الخاصة بالحياة الاقتصادية والاجتماعية كذلك ذكر المؤرخين معلومات قليلة عن جوانب المدينة .

وفي الأخير فان وفقنا في عملنا هذا فهو من الله وإذا أخطانا في من زلات أنفسنا.

المدخل

أصل تسمية مدينة طبنة ومجالها الجغرافي والتاريخي

أصل التسمية:

عرفت مدينة طُبنة في العصور الوسطى باسم توبوني (Thubanae)، وقد مثلت المدينة حينئذ منشاة عسكرية رومانية يعود بنائها إلى مطلع القرن الثاني ميلادي.

ورد اسم المدينة لأول مرة في مرة في النصوص القديمة عند بليتوس الأكبر Pline l'ancien. في مؤلفه التاريخي (histoire naturelle)، تحت اسم (Tuben oppidum) ولفظه oppidum اللاتينية هي صفة غالبا ما كانت تطلق على المواقع العمرانية المحصنة وتعني عموما المدينة، وTuben هي على الأرجح المدينة الرومانية (Thubanae)[1].

كما وردت تسمية توبوني في النقوش والمصادر المكتوبة تحت أشكال مختلفة نذكر من بينها: Tubonis, Thubunas, Tubanensis, Tubiniensis[2]، غير أن التسمية الرائجة في مصادر ومراجع الفترة القديمة هي (Thubanae)أو (.Tubanae)

و قد وردت بصيغة المؤنث، ومن المرجح انه تم تحويل التسمية المدينة إلى العربية طُبنة عموما رغم هذه الاختلافات الواردة في شكل التسمية المدينة اتفقت المصادر القديمة على إن توبوني هي مدينة رومانية تنتمي إلى مجال بلاد نوميديا غير أن الجغرافي اليوناني بطليموس يذكر أن مدينة توبوني تقع بموريتانيا القيصرية Mauritanie Césarienne، ربما أن الأمر هنا يتعلق بمدينة أخرى تحمل نفس التسمية تقع بهذا المجال لبلاد نوميديا، من المستبعد أن تكون هي نفسها الموجودة بقاياها ألان على بعد 4 كلم جنوب مدينة بريكة حاليا. وهذا ما يدل على وجود مدينتين تحملان اسما واحدا.[3]

حافظت مدينة توبوني .Tubanae على هذه التسمية طيلة الفترة الممتدة من الاحتلال الروماني إلى تاريخ خروج البيزنطيين من بلاد المغرب. إلا انه حصل تحول جزئي للاسم القديم من

---

[1]- حسناء منصر، طبنة عبر العصور. مذكرة ليسانس،جامعة باتنة ،قسم التاريخ،2011/2010.

[2] - Atlas archéologiques de l'Algérie, texte, 3eme , Edition, Alger 1997,feuille ,n 10.

[3]- ياقوت الحموي،معجم البلدان. ج4، تح: فريد عبد العزيز، دار الكتب العلمية ، بيروت، 1990،ص 21.

الحفاظ دائما على التقارب الالسني والصوتي بالمقارنة من التسمية اللاتينية اثر الفتح العربي الإسلامي، فطبنة هي الاسم المعرب للاسم اللاتيني القديم. كما أنها تموضعت في نفس المجال وعلى أنقاضها تم بناء المدينة العربية الإسلامية. وقد ذكر ياقوت العمري في معجمه إلى أن طبنة هي " عجمية ومثلها في العربية الطبنة لعبة للأعراب. وهي خطة يخطونها مستديرة، وجمعها طبن أو طبنة. بلدة في طرف إفريقيا، مما يلي المعرب على ضفة الزاب فتحها موسى بن نصير.[1]

وأيضا يذكرها ابن المنظور فيقول: طبن: الطبن بالتحريك: الفطنة، طبن الشيء وطلين له وطبن، بالفتح يطبم طبنا وطبانة وطبانية وطبونة ورحل طبن وطبانة وطبانية وطبونة: فطين له، والطبنة حموت الطنبور ويقال للطنبور: طبن وطبنة في العربية لفظ لعبة يلهو بها الصبيان".[2]

المجال الجغرافي لمدينة طبنة:

تقع مدينة طبنة على بعد 4 كلم جنوب شرق مدينة بريكة وهي تنتمي إلى منطقة الحضنة، على ارتفاع 460 م، يحدها من الشمال وادي بريكة وجنوبا وادي بيطام[3] لكن هذا الامتداد الجغرافي لم يتميز بالنبات الدائم وهذا راجع إلى توالي وتعاقب الحضارات على مدى تاريخ المدينة .

كانت الجهات الشرقية من بلاد الجزائر تسمى في الفترة القديمة بمقاطعة نوميديا حيث تقع مدينة توبوني الرومانية (طبنة) بين جبال الاوراس وشط الحضنة. إلا انه اثر الفتح العربي الإسلامي لهذه الجهة ظهر مصطلح جديد ذو جذور مشرقية عوض التسمية إذ أطلق على هذا الجبل تسمية بلاد الزاب وقد شمل بداية نوميديا ثم ضم كامل المقاطعة القديمة. إلا أن الجغرافيين والمؤرخين في العهد الوسيط قد اختلفوا في ضبط حدود الإقليم والمدن التابعة له. أشار اليعقوبي إلى بعض مدن الزاب وهي: باغاية، تيجس، ميلة، بلزمة، نقاوس، سطيف، مقرة، واوربة، وطبنة، وأيضا ومن

[1]- ياقوت الحموي، المصدر السابق،ج4، ص 21.

[2]- ابن المنظور، لسان العرب. ط1، دار صادر، بيروت، ص 264.

[3]- انظر الملحق رقم 01 ص76

القيروان إلى بلاد الزاب عشر مداخل ومدينة الزاب العظمى طبنة وهي التي يترلها الولاة وبها أخلاط والمعرب والجند والأفارقة والعجم[1].

ويذكرها الحميري طبنة أعظم بلاد الزاب بينهما ومن المسيلة مرحلتان، وهي وان إقليم الزاب بقع على طريق بلاد الجريد على أطراف الصحراء في مجال البلاد الجديد من عمل افريقية مثلها في حر هوائها وكثرة نخيلها[2].

أما البكري فيذكر: ويسير من نقاوس إلى مدينة طبنة وهي مدينة كبيرة بسورها من بناء المنصور أبو الدوائيق وهي من افتتحها موسى ابن نصير فبلغ عشرين ألفا وهرب ملكهم كسيلة وسورها مبني بالطوب، وليس من القيروان إلى سجلماسة مدينة اكبر منها.[3]

ويذكرها الإدريسي " وبين بجاية وطبنة سبعة مراحل... ومن مسيلة الى طبنة مرحلتان وطبنة مدينة الزاب وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن والحنطة والشعير وعليها سور تراب وأهلها أخلاط وبها صنائع وتجارات وأموال، ومن مقرة إلى طبنة مرحلة وبين طبنة ومدينة بجاية ست مراحل وكذلك من طبنة إلى باغاية أربع مراحل ومن طبنة شرقا إلى دار ملول مرحلة كبيرة ومن طبنة إلى مدينة نقاوس مرحلتان.[4]

ويرى أبو الفداء أن " طبنة مدينة عظيمة كثيرة المياه والبساتين والأهل والورع وأكثر زرعهم صيفي وأكثر غلاتهم القطن".[5]

وكذلك يذكرها ابن حوقل فيقول: ومنها إلى مدينة طبنة مدينة قديمة وكانت عظيمة كبيرة البساتين والزروع والقطن والحنطة والشعير ولها سور من طابية مرحلة وأهلها قبيلتان عرب

---

[1]- اليعقوبي، أحمد بن ابي يعقوب، كتاب البلدان. تح: محمد أمين ضناوي،ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002، ص ص 350-351.

[2]- الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تح: إحسان عباس، مؤسسة خاسر للثقافة. 1975- ص281.

[3]- البكري أبو عبيد الله، المسالك و الممالك. ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992، ص 712.

[4]- الإدريسي الشريف محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. ليدن، 1968، ص ص 90-91.

[5]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل محمد بن عمر،تقويم البلدان. باريس، 1840، ص 139.

ورفجانة وأكثر غلاتهم السقي ويزرعون الكتاب وجميع الحبوب فيها... ومن طبنة إلى بسكرة مرحلتان[1]، أما ابن خلدون فيقول:" وبلاد الفضة حيث كانت طبنة ما بين الزاب والتل وكان سكان طبنة معروفون بالشهامة والشجاعة ونصر الضعيف والعليل من الغلطة في التصرف، ينطقون العين قاف"[2].

[1]- ابن حوقل، صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ص 85.

[2]- عبد الرحمان ابن خلدون،العبر و ديوان المبتدأ او الخبر في أيام العرب و العجم و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959، م 6، ص 200.

طبنة قبل الفتح الإسلامي:

1-طبنة ما قبل التاريخ:

لم تنل منطقة طبنة حظها من الدراسة العلمية التي تكتشف عن ماضيها السحيق. و لم تتم فيها حفريات متنوعة وذلك على الرغم من المظاهر التي تبدو في المنطقة من كثرة الحلزون وقطع الحجارة المهذبة وغير المهذبة (المصقولة) التي تشير فيما يبدو إلى نشأة صناعة حجرية قديمة. وإلى حياة بشرية وحيوانية في هذه المنطقة في عصر ما قبل التاريخ بفترتيه البعيدة والقريبة.

وقد كشفت حفريات علمية من نماذج قديمة جدا لإنسان قديم في منطقة شلغوم العيد، وما دام الفأس لم ينشط ليكشف عن نماذج لحضارات ما قبل التاريخ في منطقة طبنة فإنها تؤكد جهلنا بحياة المنطقة في هذه الفترة الطويلة من عمر الإنسانية. كذلك العصر الفينيقي القرطاجي الذي يعتبر بداية لعصر التاريخ في شمال افريقية كلها فانه هو الأخر لا يفيدنا بأية معلومات عن هذه المنطقة والسبب يبدو في طبيعة الهجرة الفينيقية أو الاستيطان الفينيقي حيث لا يهتم الفينيقيون والقرطاجيون، بغير السواحل، إما الدواخل فلم تنل من عنايتهم باستثناء تونس وما جاورها إلا قليلا[1].

2- طبنة في الفترة الرومانية والبيزنطية:

لم تدخل إذا منطقة طبنة إطار التاريخ المعروف، إلا بعدما استولى الرومان في القرن الأول الميلادي على ولاية افريقية القرطاجية (تونس) وعلى" نوميديا" وتمثل السهول العليا القسنطينية وعلى "موريطانيا" التي تمثل منطقة الأطلس التلي الأوسط.

[1]- لقبال موسى، طبنة مدينة الزاب و الاوراس في العصور الوسطى. الأصالة، ع61/60، ص ص85 86.

وأنشئوا لأول مرة ولغرض استراتيجي طرقهم الحربية وسلسلة تحصيناتهم الدفاعية ضد سكان (الليمس)[1].

وكانت في هذه الفترة (القرن 1م) تمر شمال جبال النمامشة وجبال الأوراس وجبال الحضنة وجبال وانوغة.

و في الفترة التالية أي في القرن 2م وفي عهد الإمبراطوريين الرومانيين تراجان وهادريان، تقدمت خطوط الليمس نحو السفوح الجنوبية لهذه الجبال السابقة الذكر، بل وتتوغل قليلا في الدواخل وهكذا فقد استمرت في تقدمها التدريجي فيما تلا ذلك من العصور، وحسب الأحداث وقد تعهدها الأباطرة الرومان على مدى فترة ثلاثة قرون بالإصلاح والتجديد خدمة لأهم أهدافهم الاستعمارية.[2]

ومن بين هذه الطرق الحربية نميز طريقا رئيسيا كان ينطلق من إقليم الجريد (جنوب تونس) ويمر ببسكرة، ومنها يتفرع إلى فرعين احدهما: ذات ميزة إستراتيجية عامة للرومان وللبيزنطيين، بحيث لا يوجد وراءهما غير عالم البدو المنتقلين الذين لم يتأثروا بعد بالحضارة الرومانية، و لم يخضعوا لسيادة الرومان وذبقوا عنصر شغب وقلق ومقاومة في إطار حريتهم المحلية وحياتهم التقليدية.

ولقد أصاب طبنة ومنطقتها شر كثير وتضررت أكثر من أي حصن أخر من حركات البدو وإغارتهم المستمرة التي كانت تعنف في عهود الفوضى واختلال الأحوال منذ أواخر القرن الرابع وبداية القرن الخامس الميلاديين، كما تضررت أيضا في عصر الوندال، عندما أصبحت منطقة

[1]- الليمس: منظومة عسكرية متكاملة و هي عبارة عن طريق معبد أو خندق عميق أو سلسلة من المعسكرات لإقامة الجند المحارب المكلف بحفظ الأمن و النظام، انظر ابن منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب. ج 1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968، ص95.

[2]- القبال موسى، المرجع السابق، ص 86.

تجمع ونفي العناصر المناوئة للوندال وللمذهب الأريوسي الذي كان مذهبهم الرسمي، وهكذا أصبحت تعج بالغضوب عليهم واغلبهم كانوا من الآخذين بالمذهب الكاثوليكي[1].

و لم تهدأ أحوالها وتستعيد نشاطها وازدهارها إلا عندما صفى النفوذ الوندالي من شمال افريقية وعادت الإدارة البيزنطية في عهد الإمبراطور جستنيان[2] (ق 6م) الذي عين قائدا كفؤا لشمال افريقية يعرف بسالمون (سليمان) تولى الحد من نشاط وتحركات البدو ضد الحصون والمراكز البيزنطية في المنطقة.

وحضيت طبنة وزابي باهتمام البيزنطيين فجددت استحكامات الأولى وسورت كما جددت الثانية أيضا بعد شبه خراب، وسميت مدينة جستنيان (زابي جستنيانة) ويبدو أن نقاوس ومقره لم ينلها ما نال طبنة وزابي في عهود الفوضى بسبب حصانتها لذلك لم تكونا محل عناية خاصة في هذه الفترة (ق 6م)[3]، وقد استمرت مدن طبنة وزابي ومقرة ونقاوس تؤدي مهمتها كاملة في عصر الروم البيزنطيين، مثلما كانت من قبل تخدم أغراض الرومان وأهدافهم الإستراتيجية يمر بالقنطرة وباتنة وينتهي في معسكر لامبيس في الأوراس (تازولت الآن) حيث كانت برابط الفرقة الرومانية الثالثة، وثانيها يشق منطقة الحضنة وينتهي في سور الغزلان بعد أن يمر بحصون طبنة ومقرة وزابي (الرومانية: قرب المسيلة).

يعني ذلك أن طبنة ومقره وزابي وكذلك نقاوس وهي مدن الحضنة الرئيسية أوإقليم الزاب القديم (من المسيلة إلى نقاوس) ابتدأت حياتها حصونا دفاعية للرومان. ونقطة هامة لمراقبة السكان والأودية والأنهار وسفوح الجبال أولئك الذين لم يذعنوا بعد مثل الجيتولبيين (سكان إقليم جنتوليان) للنفوذ الروماني.

---

[1]- لقبال موسى، المرجع السابق، ص 88.

[2]- المدني احمد توفيق، كتاب الجزائر. المطبعة العربية، الجزائر، 1905، ص 16.

[3] -Diehl(ch) : l'Afrique Byzantique, histoire de la domination byzantique en Afrique, Paris 1896, p 216.

فكانت مدينة طبنة تراقب من يأتي من منخفضات جبال الأوراس ومدينة نقاوس كانت تتحكم بدورها وتراقب ممرين يؤديان إلى منطقة الزيبان ومقره كانت تتحكم بسبب موقعها في ممر وادي سوبلا القريب منها، ومدينة زابي كانت تتحكم في ممر وادي القصب (وادي المسيلة الآن).

ومن الواضح أن هذه المراكز الحصينة السابقة ما كان لها أن تبقى وتقوم بالدور المنوط بها لولا توفر ينابيع المياه في هذه المنطقة.[1]

فمدينة طبنة كانت تعتمد على وادين هما وادي بيطام ووادي بريكة، ومقره كانت تستفيد من مياه وادي سوبلا وزابي كانت تقوم حياتها على مياه وادي القصب (تحولت إلى سد بهذا الاسم). وقد أفادت المياه على قتلها في حفظ حياة سكان المنطقة والعمليات العسكرية الرومانية، وساعدت على تحقيق نوع من حياة الاستقرار للزراعة والغراسة، وعلى تربية المواشي بحيث غدت الحضنة وأوراس بالنسبة لمناطق نوميديا الأخرى، منطقة رعوية وزراعية. فضلا عن كونها تشتمل على نقط دفاعية –طرفية.

3- طبنة في العهد الإسلامي:

لقد كان لطبنة دورا هاما من خلال فترة حكم الولاة وهذا بسبب موقعها الاستراتيجي وباعتبارها عاصمة إقليم الزاب فشهدت العديد من الأحداث في عصر الولاة.

وعلى حسب ما جاء في المصادر التاريخية أن طبنة في الفترة الولاة كانت ملجأ للثوار الخوارج وهذا بسبب مناعة الخاصية البيزنطية لها وبعد المدينة على مركز الحكم، وهذا ما جعلها بالنسبة لهم أرضا خصبة لنشر أفكارهم وفرض مبادئهم الراجع إلى سوء معاملة حكام الأمويين للبربر، حيث قام الولاة بتحصين مدينة طبنة وإقامة أسوار التي تمثل نقطة دفاع إقليم الزاب.

[1]- لقبال موسى: المرجع السابق، ص 87.

وهذا ما جعل حدوث ثورات الخوارج على الخلافة فاشتعلت الثورة في كامل بلاد المغرب من طرابلس إلى الأندلس فانتفض البربر الخوارج في إقليم نفزاوة وفي منطقة قابس ثار عكاشة ابن أيوب النفزاوي الزناتي وهو خارجي صفري، فنهض والي افريقية لمواجهته في صفر سنة 124 ه/742م فوقعت عدة معارك انهزم فيها عكاشة النفزاوي فلحق بمدينة طبنة من بلاد الزاب[1]، ثم تصاعدت هذه الثورات حتى أصبحت فتنة كبيرة في عهد الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور سنة 140ه/757م، وهذا ما أدى إلى سقوط القيروان على أيدي الخوارج الصفرية ثم الإباضية فيما بعد وبها أصبحت إفريقية تحت سيطرة الخوارج، فقام الخليفة بإرسال محمد بن الأشعث والأغلب بن سالم التميمي لمواجهة الإباضيين حتى هزمهم وتمكن من دخول القيروان[2].

وبعد توجه الأغلب بن سالم إلى بلاد الزاب فاتخذ من طبقة مقرا له إلى تاريخ خروج ابن الأشعث من القيروان في شهر ربيع الأول الثامن وأربعين بعد المائة[3].

لقد كان لطبنة في العهد الأغلبي مكانة هامة خاصة في حياة إبراهيم بن الأغلب مؤسس الدولة فكانت تمثل له مركز القوة وهي ملاذه حتى ينظم الأمور ويعيد الكرة إلى القيروان التي لقي فيها واليا لمدة شهرين[4] ثم جاءه كتاب الرشيد الذي زوره ابن العكي[5].

فان القوة التي حققها إبراهيم ابن الأغلب في طبنة قد شهد عليها الجميع.

ولكن بعد دخول الداعي الشيعي أبو عبيد الله الشيعي إلى افريقية مهد إلى سقوط الدولة الأغلبية بإفريقية الذي استغل سياسة إبراهيم العنيفة تجاه الجند في بلزمة فيذكر ابن عذارى عن هذه الفتنة هي سبب سقوط الدولة وكانوا يذلون كتامة فلما قتلهم إبراهيم استطالت كتامة

---

[1]- ابن خياط خليفة، تاريخ خليفة بن خياط. تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،1993،ص 281.

[2]- حسناء منصر،المرجع السابق،49.

[3]- ابن الابار ، أبو عبد الله، الحلة السيراء. ج1، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة ، 1985، ص 72.

[4]- ابن الابار ،المصدر نفسه، ص 95.

[5]- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس و المغرب.ج1، تح : ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1982، ص ص 28-30.

ووجدت السبل للقيام مع الشيعي علي بن الأغلب"[1]، حيث يمكن الداعي بدخول مدينة ميلة والاستيلاء عليها سنة 289ه/902م تقرر توجيه حملة إلى بلاد كتامة بقيادة الأمير الاغلبي، أبو عبد الله الأحول بن أبي العباس فخرج معه اثنا عشر ألفا رجل بين فارس وراجل من مدينة تونس[2] وذلك في شهر ذي القعدة من سنة 289 ه. فقام ابن الأحول بحملة قاصدا مدينة طبنة لمحاربة الداعي سنة 289 ه فخصص أبو عبد الله ابن الأحول ابن أبي العباس إلى مدينة طبنة لمحاربة الداعي.[3]

فكانت طبنة محطة عسكرية، نظم ابن الأحول فيها جيشه لكونها قريبة من بلاد كتامة كما أنها مدينة حصينة وأمنة وحيث أراد مواجهة الداعي حدث شيء أوقف تحركاتهم وهو مقتل عبد الله الثاني أبو العباس في مدينة تونس فتولى بعد ابنه زيادة الله الثالث الحكم فقام باستدعاء أبو الأحول الذي كان بطبنة وعمد إلى قتله وقتل أخاه عبد الله الأحول بعد أن استقدمه من طبنة[4]، وهذا ما استغله الداعي فواصل نشر جيوشه فاستولى على سطيف سنة 291ه/904م فزاد في توسعه، فعمل زيادة الله الثالث بدعم حاميته فاتخذ لمدينة حاجبه حسن بن احمد بن نافد المعروف بابي المقارع عاملا عليها، وهذا ما جعل أبو عبد الله الشيعي في مواصلة طريقه وتوجيه أنظاره نحو طبنة التي كان على علم أنها مدينة محصنة وقاعدة للخليفة في حملاته، فتوجها نحو طبنة للاستيلاء عليها كزنها عاصمة الإقليم فلم يكن الاستيلاء عليها بالأمر الهين والسهل، فشهد مقاومة كبيرة من جنود المدينة حيث استغرقت مقاومتهم أزيد من سنة" وقد كان قبل ذلك طرقها بعسكر بعد عسكر[5].

---

[1]- المصدر نفسه، ج1، ص 123.

[2]- القاضي نعمان،افتتاح الدعوة. تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970، ص 64.

[3]- ابن عذارى،المصدر السابق، ج1، ص133.

[4]- المصدر نفسه، ج1، ص133.

[5]- القاضي النعمان،المصدر السابق، ص160.

فقام أبو عبد الله الشيعي بفتحها عنوة باستعمال الآلات لإسقاط حصونها فيذكر صاحب الافتتاح فيقول فزحف إليهم الأولياء من كل جانب وقدموا إليهم دبابة فنقبوا برجا من أبراج السور فسقط وحمل الأولياء عليه فهرب جميع العسكر والمقاتلة فدخلوا حصنا أوليا مبنيا بالحجارة منيعا في داخل المدينة[1]، وعلى الرغم من دخول الأولياء المدينة تواصلت المقاومة الخاصية الأغلبية لكن انتهت مقاومتها بالاستلام وطلب الأمان.[2]

وبهذا استطاع أبو عبد الله من الاستيلاء على طبنة وضمها إلى نفوذه كما تمكن بفضل سياسته من كسب ثقة أهل طبنة فدخلوا في طاعته فيذكر ابن عذارى "وانتشر فعله في جميع نواصي افريقية فتاقت أنفسهم إليه وكاتبوه ودخلوا في طاعته [3]، فقد أحسن معاملة سكان طبنة و لم يلحق بهم الأذى.

ولكن بعد الدخول الفاطمي تدهور الوضع السياسي والعسكري لمدينة طبنة وهذا بسبب تلك الاضطرابات الاجتماعية والأزمات الاقتصادية فيذكر بن حوقل عن هذا " ...وأهلها قبيلتان عرب وبرقجانة وأكثر غلاتهم السقي... وحدث بينهم البغي والحسد إلى أن اهلك الله بعضهم وأتى الله على نعمهم فصاروا بعد السعة والدعة إلى الضيق والذلة والصغار والشتات والقلة مشردين في البلاد مطروحين في كل جبل وواد..."[4]

كما كان الصراع المذهبي بين السنة والشيعة عدم استقرار الوضع السياسي بها وتدهور الأوضاع بالمغرب الأوسط أواخر القرن الرابع الهجري.

[1]-القاضي النعمان، المصدر السابق، ص160.

[2]- ابن الابار، المصدر السابق، ص 159.

[3]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص168.

[4]-ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

وكان الغزو الهلالي إحدى العوامل الرئيسية في تراجع الحياة الزراعية واضمحلال العمران بالمغرب الأوسط ومنطقة الزاب بالخصوص.[1]

فالصراع القبلي دور بارز في تراجع الجانب الاقتصادي لها وبقية مدن الزاب، فمدينة طبنة بعد القرن الرابع الهجري صارت خرابا [2] وهذا مرتبط بالأوضاع السياسية والاجتماعية وحتى المناخية كالجفاف الذي سبب في حدوث المجاعات والأوبئة التي أضرت بالإقليم.

[1]-ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص223.

[2]-ابن خلدون، المصدر السابق، ج6، ص43.

الفصل الأول:

الأوضاع الاجتماعية لمدينة طُبنة

المبحث الأول: الفئات المعمرة لمدينة طبنة

عرفت مدينة طبنة منذ تأسيسها على يد عمرو بن حفص حراكا اجتماعيا أسهمت فيه أسر الجيوش الفتوحات الإسلامية على الرغم من أن بدايتها كانت عبارة عن معسكر تنطلق منها الحملات لتوطيد السيادة الإسلامية ونشر التعاليم الإسلامية السامية وقد شارك المسلمين في مدينتهم منذ بداية بنائها الجند البربري وأسرهم الذين اعتنقوا الإسلام وحاربوا مع الجند العربي، وكان من أثر ذلك أن عاشت أسر بربرية في طبنة واختلطت بأهاليها، وكان هناك مصاهرة وتعامل ومشاركة بينهم في الحياة الاجتماعية مثل ما حدث في المدن الإسلامية كالقيروان[1]

لقد كان المسلمون الأقدر في فهم طبائع السكان وطرائق حياتهم، مما يسر عليهم فرص التفاهم ثم التأثير فيهم، وهذا يعود إلى الدين الإسلامي، كما كان التشابه في أنماط الحياة وأساليب بين العرب والبربر قد سهل عملية التواصل وكان أبلغ ذلك إقناعهم باعتناق الدين الإسلامي وتبنى اللغة العربية.

ولما كان معظم سكان الأوراس والزاب من زناته فالغالب عليهم أنهم قوم رحالة ينتقلون من مكان لآخر، ألفوا الرحلتين وكوب الخيل والسكن بالخيام، ثم قلدوا العرب وسايروهم.[2]

كما كان النظام الاجتماعي عند البربر عامة وبربر الزاب خاصة يقوم على القبيلة التي تعد إحدى أهم دعامات المجتمع البربري التقليدي على النحو الذي كان عليه العرب كذلك، إذ كان التراث البربري القليل لا يمدنا بنصوص تمكننا من تحديد القبيلة ومدلولها، فعلى العكس من ذلك للعرب فمن المعروف أن لهم تراثا قبليا غنيا، باعتبار أن الوحدة الاجتماعية المحورية صحبت مختلف

[1]-ابن عبد الحكم عبد الرحمن ، فتوح إفريقية و الأندلس. تح :عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987، ص301.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص3.

مراحل تاريخ العرب وتميزت بحضور فاعل، يستمر حتى الآن في كثير من المناطق، وقد أفرد اللغويين والدارسون لمصطلح (القبيلة) مؤلفات وأبواب ومحاور.[1]

ففي لسان العرب "القبيلة من أناس بنو أب واحد، قال الزجاج: القبيلة من ولد إسماعيل عليه السلام كالبسط من ولد إسحاق عليه السلام، سموا بذلك ليفرق بينهما والقبيلة من ولد إسماعيل الجماعة، يقال لكل جماعة من واحد قبيلة[2] ويقال لكل جمع من شيء واحد قبيل".

ويقول الرازي في كتابه مختار الصحاح: "القبيل الجماعة تكون من ثلاثة فصاعدا من قوم شتى مثل الروم والزنج والعرب والقبيلة واحدة، قبائل العرب وهم بنو أب واحد ".

كما نرى بأن العرب قسموا المجتمع إلى شعوب وقبائل وبطون وأفخاذ وعشائر، قال ابن عبد ربه[3]: "الشعوب العجم والقبائل العرب وإنما قيل للقبيلة قبيلة لتقابلها وتناظرها، وأن بعضها يكافئ بعضا وقيل لها عمائر من الاعتمار والاجتماع، وقيل لها بطون لأنها دون القبائل، وقيل لها أفخاذ لأنها دون البطون، ثم العشيرة وهي رهط الرجل خاصة".

وقد وردت هذه المصطلحات في القرآن الكريم.

فيما يخص الشعب والقبيلة، **قال الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾**[4].

[1]- محمد نجيب بوطالب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي. ط:1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002، ص53.

[2]-الرازي محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح. دار الكتب العالمية، بيروت، 1986، ص520.

[3]- ابن عبد ربه أحمد بن محمد، العقد الفريد، ج3، تح: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، 2004، ص272.

[4]- الحجرات، الآية 13.

فيما يخص العشيرة، **قال تعالى:﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾**"[1].

وفيما يخص الرهط: **قال تعالى:﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَهْطِي أَعَزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَاتَّخَذْتُمُوهُ وَرَاءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾**[2].

أما فيما يخص الفصيلة: **قال الله تعالى:﴿ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴾**[3].

فئات المجتمع الطبني:

مع نهاية القرن الثاني للهجرة الثامن للميلاد انصهر المجتمع البربري مع المجتمع العربي في المدينة الإسلامية وشكلوا خليطا بشريا تشكل منه سكان حاضرة طبنة على غرار ما حدث في الحواضر الإسلامية وفي إفريقية كالقيروان التي مثلت عاصمة الولاية، وكانت ميزة التشابه أو التقليد أو الاشتراك في المميزات الاجتماعية بين المدينتين واضحة بأكثر خصوصية عن بعض الحواضر الإسلامية كتيهرت الرستمية وذلك فإن الحواضر قد اشتركت في كثير من المميزات تكون أكثر دقة في حالة وحدة المذهب وتختلف نوعا ما في حالة اختلاف المذهب الديني.

وقد انقسم هذا الخليط من السكان حسب الأعمال التي يقومون بها في المجتمع الطبني فئات عديدة نذكر أهمها:

[1]- التوبة، الآية 24.

[2]- هود، الآية 92.

[3]- المعارج، الآية 13.

فئة الحكام:

تتكون من الحرس الخاص بالأمراء وكذلك أنصار النظام الحاكم، المتمثل في عهد الأسرة الأغلبية. فئة الوجوه[1] التي يبدوا أنهم أعضاء مجلس الجماعة التي ينتمي إليها، كما هو الحال بالنسبة للحاشية التي تظل مصاحبته للأمير فتعطي الهيبة لشخصه في حله وترحاله، وهي ذات علاقة بالسلطان ومحل ثقته[2]

فقد اشتركت هذه الفئة في حيازتها للأراضي والاقطاعات إذ اتضح ثراؤها إبان ولاية المهالبة وهو الحال بالنسبة لقادة العسكر من خلال حصولهم على العطاء والأرزاق سواء كانوا من المهالبة أو الخراسان، وكان عمال الأقاليم متميزين داخل عمالاتهم، حيث كانوا يتزلون في دار الإمارة ويملكون الاقطاعات وضياع، بفضل ما كانوا يتمتعون به من سلطة ونفوذ داخل نظام الإقليم حيث يشتمل على عدد كبير من الأقارب والخاصة ويتمتعون بالامتيازات الممنوحة للعمال، فأقارب إبراهيم بن الأغلب وخاصته قدموا له الأموال عندما رفض الاقتراض من التجار.[3]

و كذا تجار الزاب الذين حازوا الثروات من خلال ممارستهم التجارة.[4]

---

[1]- ذكر ابن الصغير، أنها مستقلة عن غيرها و لاشك أن مدلولها كان واضحا في ذهنه فهي ليست فئة الرؤساء و لا فئة المشايخ نذكر" وجوه الإباضية" و "وجوه العجم" و "وجوه أهل البلد" و "وجوه أهل المدينة" و "وجوه التجار" ابن الصغير: أخبار الأئمة الرستميين .ج1، تح: محمد ناصر و إبراهيم بحار، ط1، دار العرب الإسلامية، بيروت، 1986، ص357

[2]- جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث و الرابع الهجريين (9-10م). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص274.

[3]- أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت، ص85.

[4]- أبو إسحاق القيرواني، تاريخ إفريقية و المغرب. تح: عبد الله العلي الزيدان و عز الدين عمر موسى، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص211. [4]

فئة العلماء:

خلال العصر الوسيط مثلت طبنة مركز إشعاع ثقافي وديني، فقد أنجبت المدينة في عصرها الذهبي أعلاما في الفقه والأدب واللغة، وقد احتلت هذه الفئة مكانة مرموقة بعد ظهور الشيعة بإفريقيا واضطهادهم وتشريدهم لعلماء المالكية وانتقال عائلات بأكملها من بلدها إلى الأندلس أو إلى مصر، فبهذا فإن أغلب علماء طبنة ينتمون إلى عائلات من مصر والأندلس كأسرة أبو مضر زيادة الله بن علي بن حسين التميمي الطبني[1] في حاضرة قرطبة وأسرة محمد القاسم بن علي الطبني في مصر،[2] وقد سكن الأندلس وقرطبة أسر طبنية كبيرة اشتهرت برواية الحديث والأدب والشعر والطب.

الفئة الوسطى:

تظم عدة شرائح كالنحاسين والحرفيون الذين يقومون بتصنيع كثير من هذه التجارات وصغار التجار في الأسواق من أصحاب الحوانيت التي تبيع المنتوجات المختلفة، كما تضم هذه أهل الذمة خاصة الذين عملوا بتجارة الزيوت وأيضا بعض المشتغلين بالطب.[3] إضافة إلى الفئة المثقفة من رجال الدين والشعراء الذين كانوا يكتسبون من الشعر أموالا لاسيما في بلاط المهالبة.[4]

الفئة العامة:

تتكون من المتطوعين المحترفين أو الجنود الذين كانوا يقبلون على الجندية عند استدعاء الأمير لهم للقيام بمهمة حربية، وكانوا مرتبطون بالطبقة الحاكمة، ويشكلون أعداد كبيرة من سكان المدينة كما أن أرزاقهم كانت تتعرض للزيادة أو النقصان أحيانا.

---

[1]- ابن بشكوال، الصلة.ج1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989، ص304.

[2]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص99.

[3]- ابن بشكوال، المصدر السابق، ص168.

[4]- الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين. ط:2، القاهرة، 1984، ص226.

ومن أصحاب الحرف الذين يعملون في الصناعات البدوية منها الخشبية والمعدنية وعمال البناء والجلود والرعاة والحطابين والفلاحين الذين يعملون في المزارع الخاصة[1]، والأجراء الذين يعملون في موسم الحصاد.[2]

[1]- المالكي أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان و إفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم و أوصافهم. تح: بشير البكوش، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994، ص223.

[2]- استمرت هذه المهنة إلى وقت متأخر في المغرب الأوسط.

المبحث الثاني: عناصر المجتمع الطبني:

لقد قامت طبنة الإسلامية على أنقاض مدينة توبوني القديمة فبلغت درجة كبيرة من العمران والازدهار خاصة في العهد الروماني وصولا إلى الحقبة الوسيطة خلال القرن السادس هجري، فيصفها الإدريسي بالمدينة الحسنة[1].

بالإضافة إلى اتساع المجال الحضري نتيجة ظهور الأرباض خارج أسوار الحامية البيزنطية خلال الفترة الوسيطة وهذا ما يجعلنا في صدد التعرف على مختلف المجموعات البشرية التي سكنت مدينة طبنة وساهمت في تعميرها وذلك من خلال المؤرخين والجغرافيين العرب.

سكنت طبنة أخلاط بشرية مختلفة في الجنس واللغة، وبذلك يمكن أن نميز منها خمسة عناصر وهي الأفارقة، الروم، البربر، الفرس والعرب وهو ما عبر عنه الإدريسي بقوله أن طبنة "أهلها أخلاط"[2] ألف كل من الأفارقة والروم ما سمي في المصادر العربية "بعجم البلد" مقابلة ب"عجم خرسان" وهم من العجم الفرس، أما البربر فقد مثلوا أغلبية السكان، وبالنسبة للعرب كان أكثريتهم من أعقاب العرب الفاتحين، الذين استوطنوا طبنة.

البربر:

يعرفون بالسكان الأصليين الذين شكلوا غالبية المجتمع، ولقد اختلفت التفسيرات حول أصولهم العرقية من قبل المؤرخين مع اختلاف الانتماء الجغرافي لهؤلاء البربر سواء من فلسطين أو بلاد اليمن أو حتى مصر[3]

وقد اختلفت تفسيرات المستشرقين فهناك من يرى قرابة البربر بالحميريين على أنها نفس القرابة مع القرطاجيين. كما نجد بأن البربر ينحدر من منطقة الشرق الأوسط، لكن أخطر هذه التفسيرات هي:

---

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص263.

[2]- المصدر نفسه، ص263.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص25.

محاولة ربط سكان شمال إفريقية بصفة عامة بسكان أوروبا الذين جاؤوا مع الرومان أو الوندال.[1]

نرى أن اسم البربر يعتبر أقدم اسم ذي مداول شامل يظهر منذ بدء عصر التاريخ وينطوي تحته سائر سكان الصحراء أو من أهل التلال والسهول والجبال ذوي البشرة البيضاء أو الزنجية،[2] بحيث لا تشابه كلمة البربر في مدلولها الشامل.

يختلف المؤرخون حول أصل البربر إن كان حامي أو سامي أو خليط من الاثنين، وإنما كانوا من العرب أو الأوروبيين. ويرجع المؤرخون العرب أصل البربر إلى الأصل العربي السامي من الجد قيس عيلان حيث عاشوا حياتهم القبلية وانقسموا إلى قبائل وبطون.

يذكر كل من الطبري وابن الأثير[3] أن البربر من ولد إبراهيم عليه السلام، بعد ما تزوج امرأة تسمى قطورا ابنة يقطن وهي كنعانية، وأنجبت يفششان.

القبائل البربرية في طبنة

فيما يخص تقسيم البربر[4] إلى بتر وبرافس فهي مسألة غامضة، فيرى ابن خلدون[5] أنهم ينقسمون إلى سكان الوبر (الخيام) وسكان المدر (البيوت) أي أن البتر رحل والبرانس مستقرون، ومعنى ذلك أن غالبية البتر القبائل بدوية ترتحل وراء الإنتجاعات ومعظم البرانس كانوا أهل زراعة واستقرار.

نرى أن خط التقسيم بين البرانس والبتر لم يكن مطلقا لأن الحضارة والبداوة متبادلة في كل منها حيث اخترقت بعض قبائل البرانس الرعي وانشغلت بعض قبائل البتر بالزراعة.

---

[1]- لقبال موسى،دور كتامة في الخلافة الفاطمية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979، ص 48

[2]- المرجع نفسه، ص48.

[3]- الطبري، تاريخ الأمم و الملوك.ج1، ط1، دار الكتب العالمية، بيروت، 1987، ص185، و ابن الأثير ابو الحسن بن أبي المكارم الشيباني. الكامل في التاريخ. ج1،ط:6، دار الكتاب العربي،بيروت، ص70.

[4]- الملحق رقم 02 ص77.

[5]- ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج6، ص89.

كان التنظيم الاجتماعي للبربر يقوم على أساس قبلي وكل من هاتين القبيلتين تتفرع إلى بطون وأفخاذ، فالبرانس تضم عدة قبائل هم كالتالي: أوربة وصناهجة وكتامة ومصمودة وعجيسة وأوريغة وأزداجة. إضافة إلى لمطة وجزولة وهكسورة[1]. أما قبيلة البتر هي الأخرى تتفرع إلى عدة قبائل صغيرة وهي أداسة، نفوسة، ضريسة، وبنو لوا[2]

نفزاوة:

تفرعت إلى عدة بطون نذكر منها ورفجومة الأكثر قوة وبأسا[3] هذه الأخيرة والتي نزلت طبنة واستقرت بها لفترة من الزمن فقد أعلنوا الثورة بعد وفاة عمر بن حفص، لكن يزيد بن حاتم والي إفريقية (154ه-170ه/771م-786م) استطاع القضاء على ثورتهم في طبنة وحل مكانهم قبائل أخرى على حد قول ابن حوقل أنها من عرب وبربر وبرقجانة[4].

عجيسة:

انتشرت هذه القبيلة في المغرب الأوسط وقد تجاوزت حدود قبيلة صنهاجة الشمال[5] ومن مراكزهم نواحي دلس وجبال الحضنة الشرقية وناحية القلعة ولقد كان لها دورا في الأحداث السياسية التي قررت مصير الفاطميين[6]، وتوجد لعجيسة بقايا قليلة في المغرب الأوسط ومن أهمها قبيلة تحمل نفس الاسم القديم جنوب غربي بجاية.

---

[1]- ابن حزم، المصدر السابق، ص495.

[2]- شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفدوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت،2002، ص 68 [2]

[3]- أبو زكريا، المرجع السابق، ص63.

[4]- ابن الأثير، المصدر السابق، ج5، ص602.

[5]- موسى لقبال، دور كتامة، المرجع السابق، ص70.

[6]- المرجع نفسه، ص70.

جراوة[1]:

هي إحدى فروع زناتة في منطقة الأوراس كانت تدين بالولاء للفرنجة حيث سكنت الجهة الشرقية من جبل الأوراس.[2] اجتمعت عليها العديد من القبائل كقبيلة بني يفرن ومن كان بإفريقية من زناتة وسائر البتر. وهذا ما يمكن تفسيره بعلو شأن الكاهنة التي حاربت المسلمين، يقول ابن خلدون بأن جراوة كانوا زعماء البربر وملوكهم.[3]

بنو عبد الواد:

سكنوا طبنة والمناطق الشرقية للأوراس إذ كان موطنهم منذ عهد الفتح.[4] شاركت هذه القبيلة عقبة في فتح المغرب، رجعوا إلى موطنهم الأوراس قبل استكمال عقبة الفتح والوصول إلى البحر المحيط كما أذن لهم بذلك تقدير لما بذلوه من جهد دفاع عن الدين ونشروا للدعوة.[5]

بنو يفرن:

كانوا أقوى قبائل زناتة في مرحلة الفتح، يقول ابن خلدون عن يفرن في لغة البربر يعني القار.[6] طائفة منهم بإفريقية وجبل الأوراس والمغرب الأوسط شعوبا وبطونا[7] انضموا إلى الكاهنة في قتال جيش حسان بن النعمانوبعد ذلك رحلوا إلى المغرب الأقصى، عندما فشا المذهب الخارجي في المشرق الإسلامي لجأ دعاتهم إلى الدعوة لمذهبهم ويؤلبون الناس على السلطة المركزية ففشا المذهب الخارجي في البربر، وكان بنو يفرن قد قاتلوا من أجله، ويظهر ذلك من خلال ثورة صاحب الحمار وقومه بنو واركوا ومرنجيصة.[8]

---

[1]- من ولد كراو بن الدبرت بن جانا، كانت الرئاسة فيهم للكاهنة دهيا بنت تابنة بن نيقان بن باورا بن مصكسري بن أفراد بن وصلا بن جروا، السلاوي، المصدر السابق، ج1، ص149-150.

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص11.

[3]- المصدر نفسه، ج6، ص 128.

[4]- نفسه، ج7، ص84.

[5]- نفسه، ج7، ص71.

[6]- ابن حزم ابو محمد علي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب. تح:عبد السلام هارون،ط:2، دار المعارف، مصر، 1971، ص498.

[7]-ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ص14.

[8]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص14.

هوارة:[1]

بن بطون البرانس، كان موطنهم نواحي طرابلس ورحل البعض إلى مناطق أخرى، شاركوا في حروب الخوارج، في المراحل الأولى من الفتح كان لهم في الردة أثر فيها، وساندوا المذهب الخارجي،[2] كما ركنوا إلى العرب من بني سليم فألفوا عوائدهم فقلدوهم في اللغة والزي وسكنى الخيام وركوب الخيل، وكسب الإبل وممارسة الحروب وإيلاف الرحلتين في الشتاء والصيف، وقد نسوا رطانة البربر واستبدلوا منها بفصاحة العرب.[3] نذكر من هذه القبيلة القاضي محكم الهواري الذي اشتهر في تيهرت قاضيا استقدم من جبل الأوراس[4] كما اشتهر ولده هود صاحب التفسير المعروف.[5]

أوربة:

تنسب هذه القبيلة إلى أورب بن برنس، كان الأمير فيهم في أول الفتح سكرديد بن رومي، الذي ولي عليهم ثلاث وسبعين سنة، ولما توفي ولي بعده كسيلة بن ملزم الأوربي أمير البرانس كلهم.[6]

كانت قبيلة أوربة تسكن المنطقة الغربية من المغرب الأوسط، وقد تمكن أبو المهاجر دينار من استمالتها في أول الفتح، ثم ثارت ضد عقبة بن نافع بعد ما اعتقل زعيمها (كسيلة)، وتحالفت مع الروم من قتله في الزاب جنوب الأوراس،[7] وقد ذكر اليعقوبي أن طائفة من أوربة سكنت

---

[1]- من ولد هوار بن أوريغ بن أنيس و قد زعم البعض خطأ بأنهم من عرب اليمن، المصدر نفسه، ج6، ص166.

[2]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص11.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص11.

[4]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص57.

[5]- هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز.ج1، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ،ص06.

[6]- لقبال موسى، تاريخ المغرب الإسلامي. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1981، ص38.

[7]- عبد الحميد حاجيات، التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط، مجلة الأصالة، ع:60-61. أوت 1978، ص42-43.

بالقرب من مدينة نقاوس على بعد مرحلتان من طبنة جنوب غرب الأوراس وهذا خلال القرن الثالث هجري.[1]

العرب:

توافدت القبائل العربية على طبنة مع بدايات الفتح الإسلامي لها، وعند مجيء عقبة بن نافع الفهري بدأ في تثبيت العرب في إفريقية، الذي كانت خطته ترمي إلى تحقيق أهداف بعيدة المدى من تلك وضعها من سبقه من الفاتحين، وهذا من أجل نشر الإسلام وتعميم الرسالة مثل ما قام به عمرو بن حفص المهلبي الذي قام بتجديد بناء طبنة التي صارت عنصرا جديدا يجذب العرب إلى المغرب بنية الإستقرار.

كانت طبنة مقر لنزول عمال الزاب طوال عصر الولاة ثم عصر الأغالبة وذلك من خلال انتقال الجيوش الفاتحة إليها، إضافة إلى ظهور العرب إلى جانب سكان البلاد بما فيهم البربر والعناصر السابقة كالروم والأفارقة المستقرة من قبل.

يقول اليعقوبي أن أغلب سكان بلزمة من بني تميم ومواليهم المناهضين للسلطة الأغلبية في هذا الوقت[2] يقول أيضا ابن حزم أن بنو تميم هم قاعدة من أكبر قواعد العرب سكنوا مدينة بلزمة وهي بلد محدث للعرب وفيه بقاياهم إلى الآن.[3]

لقد كانت القبائل العربية في بلزمة تتمتع بنوع من الاستقلال رغم ولائها إلى طبنة والدولة الأغلبية، فكان أغلبهم من القيسية قريبين من الأغالبة التميميين.[4]

---

[1]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص12.

[2]- المصدر نفسه، ص12.

[3]- ابن حزم ، المصدر السابق، ص107

[4]- ابن عبد ربه، المصدر السابق، ص279-280.

كما يذكر اليعقوبي عن طبنة "مدينة الزاب العظمى طبنة، وهي التي ينزلها الولاة وبها أخلاط من قريش والعرب والجند والأفارقة والروم والبربر والزاب بلد واسع".[1]

أما البكري فيقول عن المجتمع الطبني "وهي مما افتتح موسى ابن نصير فبلغ سبيها عشرين ألف وهرب ملكهم كسيلة، ويقال أن الذي بناها أبو جعفر عمر بن حفص المهلبي[2]، المعروف بهزار مرد، يسكنها العرب والعجم بينهم الاختلاف والعرب. ويسكن حولها بنو زفراج، وإذا كانت الحرب بين العرب والمولدين استمد العرب بعرب مدينة تهوذا وسطيف واستمد المولدون بأهل بسكرة وما والها"[3]

ويقول أبو الفدا[4] "وأهلها أخلاط" ويذكر ياقوت[5] "طبنة وهي فيما أحب عجمية، ومثلها في العربية الطبنة لعبة للأعراب، والطبنة صوت الطنبور"، أي أنه لاحظ بأن طبنة عامرة بالسكان.

كما نرى بأن عرب طبنة خليط من اليمنية والمضرية من خلال وصول الأغلب بن سالم إلى إفريقية بعد ثورة أهلها المضريين على الوالي اليمني ابن الأشعث[6].

عند قدوم العرب الفاتحين بدون نساء لهم (زوجات) حدث تزاوج واختلاط بينهم وبين البربر أي تزوجوا البربريات وهذا الأمر طبقه العرب قدومهم إلى طبنة، فيكون الولد تبعا لوالده من حيث اللغة والدين.[7]

---

[1]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص12.

[2]- عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة المهلبي من أبطال الفتح الإسلامي كان العجم يسمونه بهزار مرد أي ألف رجل. ابن عذارى، المصدر السابق، ص22.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص55.

[4]- أبو الفدا، المصدر السابق، ص139.

[5]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص21.

[6]- عبد العزيز فيلالي، المظاهر الكبرى في عصر الولاة ببلاد المغرب والأندلس. دار المعارف للطباعة والنشر، تونس، 1990، ص87.

[7]- حسين مؤنس، المرجع السابق، ج1، ص108.

بعد اختطاط المدينة ودخول جموع من العرب اليمنية مع موسى بن نصير من جند مصر إلى جانب العرب الذين توافدوا عليها للتجارة، وهذا ما أدى إلى الاستقرار الفعلي في طبنة إضافة إلى دخول كلثوم بن عياض القشيري إفريقية في عام 123ه/740م ومع جيش يتكون من عرب الشام أما من أتوا مع محمد بن الأشعث الخزاعي ويزيد بن حاتم فكانوا من عرب العراق وخرسان[1]

الجند الخرساني:

هذه التركيبة ليست من الفرس ولا من العرب بل هم خليط من الأجناس أرسلوا إلى المغرب عندما كان المغرب الأوسط تابع للخلافة العباسية وكذا القيروان تابعة لها، فكانوا يتزلون المناطق الحربية في بلاد الزاب والأوراس لغرض حمايتها، فيقيمون بمدها حتى يستدعوهم للمشاركة، في قمع ثورة أو حرب قائمة[2] وشمل الجهاز الإداري كثير من أبناء خرسان على رأس الشرطة أو الدواوين[3] كما يعرف عن الخرسانيين اسم الجند الخلافي أو جند أمير المؤمنين[4] وهم الجند المستقدمين إلى بلاد المغرب في عهد الدولة العباسية، فقد أرسل المنصور جيشا إلى المغرب قوامه أربعين ألفا منهم ثلاثون ألفا من الخرسانيين.[5]

الأفارقة:

سمّي العرب عند بداية الفتح "بعجم إفريقية أو الأفارقة الأعاجم الذي يعني الأفارقة من غير العرب[6] وهم مزيج من المستعمرين السابقين، وهم كما يوصفون حماة النظام من أهل قرطاجة أو

---

[1]- أبو العرب، المصدر السابق، ص84.

[2]- حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية. ج1، مكتبة دار المنار، تونس، 1972، ص132-133.

[3]- أبو العرب، المصدر السابق، ص174.

[4]- اليعقوبي،المصدر السابق، ج1، ص348-350.

[5]- مصطفى أبو ضيف، المرجع السابق، ص42.

[6]- طه عبد الواحد دنون، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقية والأندلس. دار المدار الإسلامي، 2004، ص403.

رعاياها[1] وأنهم منحدرون من فارق بن بيصر.[2]

امتلكوا الأراضي والاقطاعات الزراعية مما جعلهم يستعينون بالفاتحين ضد الكاهنة عندما قامت بتخريب الأرض لمنع المسلمين من التفكير فيها وفي خيراتها[3] يذكر البكري: "وقال قوم إنما سموا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم"[4] يعني السكان الأصليين إضافة إلى البربر، وبعض هؤلاء بالإسلام[5] وبقي كثير منهم يتكلمون لغتهم الخاصة. قد تكون مزيجا من اللغة اللاتينية أو البربرية أو لهجة محلية، إذ يذكر البكري أن رطانة أهل سرت لا يعرفها غيرهم[6].

العجم:

ميز العرب العجم عن الأفارقة وقد اشترك الروم مع البربر في مقاومة العرب الفاتحين وهناك من هرب إلى صقلية وظلوا هناك حتى هدمت قرطاجة على يد حسان بن النعمان 78ه/697م[7] ولم يعدلوا عن هذه السياسة إلا بعد التخريب التي قامت به الكاهنة والضرر المترتب جراء ذلك، فاستنجدوا بحسان وقدموا له الأموال ثم أسلموا على أنفسهم[8] وعرفوا بعجم أهل البلد واستقر بعضهم في مدينة طبنة.

يذكر ابن حوقل "أن طبنة مدينة كبيرة يسكنها العرب والعجم بينهم الاختلاف والحرب"[9]

ظل العجم يشكلون جماعات منفصلة عن البربر وهم بقايا من الروم وكان تواجد اليهود بطبنة قليل لا يعرف نسبها ومتى دخلت إفريقية لكن هناك من يرى أن اليهود استقروا في البلاد

---

[1]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص106.

[2]- ابن عبد الحكم، المصدر السابق، ص248.

[3]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص106.

[4]- البكري، المصدر السابق، ج2، ص193.

[5]- موسى لقبال،المرجع السابق، ص16.

[6]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ج1، ص113.

[7]- ابن عذاري المراكشي، المصدر السابق، ج1، ص34.

[8]- ابن الأثير، المصر السابق، ج4، ص32.

[9]- ابن حوقل،المصدر السابق ، ص85-88.

بعد تدمير معبد أورشليم 70م، وقاموا بنشر ديانتهم بين البربر كما تذكر المصادر بأن الكاهنة كانت تعتنق اليهودية[1]، إلا أنه يشك في هذا الأمر الذي لم يشر إليه كتاب الفتوح الأوائل.[2]

لقد دخل اليهود ضمن التشكيلات السكانية وأطلقت عليه المصادر "أهل الذمة" إذ تمتعوا بالحقوق المستمدة من الشريعة الإسلامية التي جعلت لهم حقوق لم يحضوا بها في الأراضي الخارجة عن دار الإسلام.[3]

وقد سكن مدينة طبنة بعض النصارى وكان عددهم قليل، بل هم بقايا وجدوا الحماية في المجتمع الطبني، إذ اعترف لهم الإسلام بالمواطنة وأقر على ما هم عليه من دين ونظام اجتماعي، بشرط أن يدفعوا الجزية المفروضة عليهم.[4]

تحدثنا المصادر التاريخية عن الصراع المسيحي وكيف كانت أوضاع المسحيين في طبنة قبل الفتح إلا أننا نعرف الكثير عن الصراع المسيحي ولكن من المؤكد أن طبنة كانت حاضرة عامرة وفي أواخر العهد الإمبراطوري صارت تعج بالمذهب الكاثوليكي[5]

وبهذا نرى أن المسيحيين تواجدوا في طبنة قبل الفتح واستمروا معه.

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص108.

[2]- سعد زغلول عبد الحميد، المرجع السابق، ص113.

[3]- مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين. دار النهضة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2000، ص96.

[4]- المرجع نفسه، ص48-50.

[5]- لقبال موسى، المرجع السابق، ص88. [5]

المبحث الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية:

السلوك الاجتماعي العام:

إذ كان يشيع العدل وترتفع راياته ويحارب الظلم، ويعاقب مرتكبوه وخاصة في المعاملات، فكان القاضي يعيق المحتسب في المدينة الإسلامية، على غرار القيروان وهو ما كان في طبنة وكان المحتسب يقوم بمحاربة المنكرات ويحمل الناس على احترام المصلحة العامة، كمنع المضايقة في الطرقات والرفق بالحيوان، ومقاومة الخداع والغش في البيع والشراء.[1]

وضع المرأة:

كان للمرأة دور سواء في السلم أو الحرب، إذ كانت تساهم في الحرب برفع الروح المعنوية لأزواجهم وحملهم على مواصلة القتال كما هو حال المرأة في المغرب الإسلامي بمدنه وأريافه،[2] أما في وقت السلم فكانت تقوم بشؤون البيت المترلية وكانت تقوم أيضا بأعمال يدوية كغزل الصوف والقطن وحياكة الثياب لأسرتها والطرز.

تورد المصادر قضية حرية المرأة في الحياة الزوجية، إذ يستدلون على حرية المرأة وقوة شخصيتها ما كانت تشترط عند العقد في الزواج من أن الزوج إذا تسرع عليها بامرأة غيرها يكون أمرها بيدها حيث تطلق نفسها إن شاءت[3] وينسبون هذه العادة إلى مدينة القيروان.[4]

لكن بالمصادر الإسلامية نجد أن المجتمع بالمغرب لم يكن يؤمن بهذه العادة لا قبل الإسلام ولا بعده إذ أن المجتمع البربري كان يتم الزواج بدون عقود مكتوبة وحتى المجتمع الحضري بعد قيام الحواضر الإسلامية فهذه العادة لا تمد للإسلام بصفة.

كما كانت المرأة تشارك الرجل في خدمة الأرض والحيوان في أرياف المدينة وبساتينها.

---

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان. تونس، 1330ه، ص153.

[2]- الرقيق القيرواني، المصدر السابق، ص120.

[3]- يمكن القول:وهو المعروف بالخلع في الشريعة الإسلامية.

[4]- المقريزي أبو العباس تقي الدين احمد بن علي. تح:محمد اليعلاوي، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991، ص120.

الطعام:

إن أطعمة سكان طبنة لم تختلف عن أطعمة المدن المجاورة، إذ كانت من المنتوجات الزراعية والحيوانية التي تخلط بكيفيات مختلفة، فتنتج مأكولات مختلفة ومتنوعة.

وكانت تتمثل في خبز الحنطة والشعير الذي كان ينتج في طبنة بكميات كبيرة[1] فالعرب عندما نزلوا مدن المغرب الإسلامي كانوا يتناولون طعام يعرف بالثريد[2] والبسيس والعصيدة ثم اقتبسوا عن البربر عدة مأكولات، ومع تحضر المدينة (طبنة) وكثرت التجارب بين سكانها وتنوعت الأطعمة، إذ كانوا يتناولون الكثير من اللحم في المناسبات الدينية الخاصة.

فالبكري يذكر أنه في بعض أيام عاشوراء ذبح في القيروان تسعمائة رأس من البقر، غير ما ذبح من حيوانات أخرى،[3] وكما كانت هناك أطباق الحلوى كالإسفنج والغسانية[4] والسمسمية والبسكويت الملبس بالسكر.[5]

كما شاع عند أهل طبنة إنتاج زيت الزيتون الذي يستخدم كغذاء أو علاج، كما كانت الألبان تباع في الأسواق[6]،كما يستهلك سكان طبنة الفواكه من جوز ولوز وعنب وتمر، ونظرا لما اشتهرت بساتين المدينة والمنطقة ككل من تنوع الفواكه وتوفرها[7].

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[2]- كان مشهورا في طبنة و هو الخبز المفتت في المرقة و يثرد بالزيت أو الزبد أو بمرق الدجاج أو لحم الخروف و أحيانا يثرد باللبن و يضاف إليه السمن أو الزبدة، و يؤكل الثريد في إناء يدعى صفحة أو جفنة، جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص ص 223 -224.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص26.

[4]- نوع من الحلوى يصنع من سمن و عسل و زعفران، ابن المنظور، المصدر السابق، ص266.

[5]- البكري، المصدر السابق، 32.

[6]- المصدر نفسه، ص145.

[7]- مجهول الاستبصار في عجائب الأمصار، تح: سعد زغلول عبد الحميد،دار النشر المغربية، الدار البيضاء، 1985، ص172.

اللباس:

لم تمدنا المصادر عن موضوع الملابس في مدينة طبنة إلا أننا وجدنا عبارات متناثرة وكذا مقارنة بالمدن الإسلامية وخاصة الإفريقية في هذه الفترة قد تساعد في رسم صورة لملابس سكان طبنة.

يقول المقديسي[1] عن لباس العامة " والسوقة بالمناديل" ربما كان يقصد أنهم يلفون أجسامهم بلحاف وأهل البداوى كما يقول ابن خلدون يستغنون عن الثياب الفاخرة لأنها من مذاهب أهل الحضارة.

كما يلبسون برانس سود وهذا لوفرة مادة الصوف التي تشكل المادة الأولية لصناعة هذه الثياب ولخشونة الصوف يستلزم ارتداء تحته إزار من كتان أو قطن خاصة وأن طبنة اشتهرت بإنتاج الصوف والقطن والكتان بين المغرب الإسلامي حيث أن الجغرافيين الذين مروا بها في القرون الأولى للفتح أبرزوا هذا.[2] أما من يرتدون الأكسية والألبسة الفاخرة من الحرير والكتان هم من تحضر من البربر وباقي الأجناس وأصبحوا بأحسن حال وأغنياء إذ يذكر ابن عذارى أن لباس عبيد الله المهدي: "كان عليه حز أدكن وعمامة دكناء وكان على أبي عبد الله الشيعي ثوب توتي وظهارة كتان وعمامة ومنديل اسكندراني وبه سبيبة يمسح بها الغبار من وجهه"[3]

و ذكر المقديسي[4] أن أهل الأقاليم بأكسية وهم الذين عبر عنهم بالسوقة كانوا يلبسون المناديل.[5].

---

[1]- المقديسي، المصدر السابق، ص192.

[2]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص12، البكري، المصدر السابق، ص50.

[3]- ابن عذارى، المصدر السابق، ج1، ص185.

[4]- ابن عذارى، المصدر نفسه، ج1، ص192.

[5]- المنديل لباس صوفي يغطي الرأس و يتدلى على الكتفين و الظهر و يمكن أن يكون عمامة، ابن منظور، المصدر السابق، ص264.

كما لبسوا الجبة وهي من الصوف ولبسوا السراويل الفضفاضة وقد كان السروال لباسا شاسعا، كما لبسوا القلنسوة.[1]

أما أهل الذمة فلم نجد ذكرها في المصادر، فربما كانوا يتشابهون مع المسلمون في طبنة وباقي المدن الإسلامية في المغرب، وهذا ما جعل القضاة يلزمون أهل الذمة باتخاذ زنانير عريضة لثيابهم ليعرفوا بها.[2]

و بالنسبة للمرأة فكانت تلبس رداء قطن أو حرير حسب رتبتها وتلبس فوقه غلالة تشدها بمئزر، وتتزين بأساور مرصعة وخلاخيل منقوشة، كما لبست المعجر،[3] كما لبس الناس النعال التي يبدو أنها على صنفين محلبة للطبقة المتوسطة ومستورة للأغنياء.[4]

العادات والتقاليد:

لا شك أن البيئة الجغرافية التي ينشأ فيها شعب من الشعوب لها أثر كبير في الشكل الحضاري الذي ينشئه لأن الإنسان يأخذ مادة حضارية مما حوله، والظروف التي تحيط به لها أعظم الأثر في حفز همته إلى العمل والإنشاء والابتكار أو في تثبيط همته وحرمانه من كل تطلع إلى جديد.[5]

اعتاد المجتمع الطبني خاصة وسكان المغرب الأوسط عموما إقامة الولائم وهذه إحدى عاداتهم إذ رزقوا بمولود جديد في اليوم السابع فتذبح شاة عن الذكر أو الأنثى وتعطى القابلة ربعها ويطعم باقيها للجيران، كما كان يتناول الطعام في حالة الوفاة صدقة على روح المتوفي.[6]

---

[1]- المقديسي، شمس الدين ابو عبيد الله،احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم.ط:3،مكتبة مدبولي،القاهرة،1991، ص239.
جودت عبد الكريم يوسف، المرجع السابق، ص333.

[3]- هو ثوب تشده المرأة على رأسها من غير إدارة على الحنك، ابن منظور، المصدر السابق، ص264.

[4]- جودت عبد الكريم، المرجع السابق، ص332.

[5]- حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول و عوامل قيامها و تطورها. ط:2، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص27.

[6]- القاضي النعمان، كتاب الاقتصار، تح: محمد وحيد ميرزا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية ، دمشق، 1957، ص107.

وفي الختان كان والد الطفل يقوم بوليمة تخص المناسبة، كما كانت تقام الولائم بمناسبة الزواج، إذ كان يدعى الأقارب والجيران والأصدقاء فيتناولون طعاما في هذه المناسبة.[1]

كما عرفوا ما يسمى بالوعدة، فيتوعدون بإقامة وليمة إذا تحقق ما يتمنون، كشفاء المريض وعودة الغائب وعلى هذا تقام الوليمة كما يقدم الطعام للجيران والفقراء وهذه المعلومة ساقها الدباغ بشأن رجل كان يقيم إلى جانب قبر ابن لباية في قابس فكان يأتيه من وعدات الناس ما يكفيه هو وعياله[2]، إضافة إلى استعمال البخور ويبدو أن استعماله خاص بمناسبات الفرح وقد كان استعمال الكحل عاما للنساء والرجال واستعملوا الحناء لتخصيب الكفين والقدمين واللحية وربما استعملت في العلاج[3].

[1]- حسن حسني عبد الوهاب، المرجع السابق، ج2، ص188.

[2]- كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية،1997،ص44.

[3]- ابن القطان ، نظم الجمان.تح:محمود علي مكي، تطوان، مطبعة المهدية ، تونس، د ت، ص41.

الفصل الثاني:

الأوضاع الاقتصادية في مدينة طبنة

المبحث الأول: المجال الاقتصادي

تعتبر مدينة طبنة نموذجا للمدينة المتطورة والمزدهرة في المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، فهي مدينة عتيقة ذات مكانة مرموقة بفضل مواردها وتوسع مجالاتها.

أهمية المدينة ومجالها الاقتصادي

لقد كانت مدينة طبنة نموذجا للمدينة المزدهرة المتفتحة خاصة فيما يتعلق بامتداد مجالها العمراني والاقتصادي فوصفتها الكثير من المصادر الجغرافية بالعظيمة أو العظمى وأيضا بالكبيرة[1]

فكان لمدينة طبنة امتداد لضواحيها خاصة من جهة حزامها الريفي الهام الذي يعتبر مؤشرا واضحا وهاما لثراء المدينة، كما أن اتساع المجال المخصص للبساتين دليل على مكانتها الاقتصادية وعلى حيوية الظاهرة الحضرية كذلك، حيث أن مدينة طبنة في العصر الوسيط نموذج للمدينة الوسيطة المزدهرة الراقية بحزامها من اخضرار البساتين فيقول البكري عن هذا " تموضعت قرب أربا من المدينة إضافة إلى امتداد فحوصها[2] المروية بمياه نهر بيطام ووادي بريكة، كما مثلت الفحوص[3] الحزام الريفي الثاني المحيط بالمدينة.

ويذكر ابن حوقل عن محاسن المدينة "كانت عظيمة كثيرة البساتين والقطن"[4] إن أهمية مدينة طبنة تكمن في كونها عاصمة لعدد هام من القرى والرساتيق"[5] وهذا دليل على قوة ومكانة مجالها الريفي.

---

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص65. اليعقوبي، المصدر السابق، ص350.

[2]- البكري أبو عبيد الله بن عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب. ج2، مكتبة المثنى، بغداد، ص712.

[3]- الفحوص: لغة هو ما استوى من الأرض و الجمع فحوص، و هو مصطلح عربي قديم تجاوز استعماله الدلالة على الأرض الزراعية فقط ليشمل مفهوم أوسع لتعلق بالضاحية الزراعية للمدينة فهو المجال الزراعي المحيط بالمدن، ابن منظور، المصدر السابق، ج7، ص63.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص85.

[5]- الرستيق، هو كل موضع فيه مزارع و قرى، ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص38.

إضافة إلى تعدد النشاطات الزراعية بها وتنوعها يدل على وجود إنتاج متنوع بالمدينة فهو يضم كل أنواع المزروعات المسقية وزراعة الحبوب كذلك، إضافة إلى تربيتها للمواشي الراجع إلى امتداد أراضيها الرعوية، إضافة إلى وقوعها بين وادي بريكة شمالا ونهر بيطام جنوبا فقد امتدت فحوصها لتمثل الحزام الزراعي الضروري، وبهذا فإن علاقة المدينة بإقليمها كانت علاقة أساسية لفهم هذا الثراء وتفسيره.

أما عن المجال الاقتصادي لمدينة طبنة فلا توجد معلومات كثيرة وواضحة تتحدث بصفة خاصة عن مجالها الاقتصادي فنجد الإدريسي يذكرها فيقول إن مدينة نقاوس الواقعة على بعد مرحلتين من طبنة كانت تزود الأقطار المجاورة لها بفاكهة الجوز،[1] وهذا القول يرجح أن طبنة من بين تلك الأقطار التي كانت تقوم بتبادل المنتوجات والمواد مع نقاوس، وخاصة أن طبنة اشتهرت بتنوعها الزراعي ووفرته وهذا ما يجعلها تقوم بعدة مبادلات تجارية بين المدن المجاورة البعيدة كما أن موقعها الهام نشط من الحركة التجارية التي عرفتها من جهة الصحراء والجهة الغربية أيضا.

فمدينة طبنة ارتبطت وعرفت بفضل موقعها الإستراتيجي في مفترق الطرقات بمجالاتها الواسعة.

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص224.

المبحث الثاني: الصناعة

إن للنشاط الصناعي دورا بارزا في ازدهار الحياة الاقتصادية بشكل عام والجانب التجاري بشكل خاص، فمعنى الصناعة هو تصنيع الإنتاج الزراعي وما يتصل به بالإضافة إلى الإنتاج الحيواني (الجلود والصوف)، واستنباط المعادن وتصنيعها والإفادة من ذلك كله في سد احتياجات السكان في مجال البيع والشراء (التجارة الداخلية) والاستفادة من فائض تلك الصناعات في تصديرها إلى خارج البلاد، (التجارة الخارجية)،[1] فقد تطورت الصناعة بمدينة طبنة تطورا كبيرا منذ نهاية القرن الثاني هجري فتنوعت الصناعات من بدائية إلى حضارية متطورة وهذا راجع إلى فئات المجتمع الطبني، فيرى ابن خلدون عن التطور العمراني "إذا زخر بحر العمران وطلبت فيه الكمالات كان من جملتها التأنق في الصنائع واستجادتها، فكملت بجميع متمماتها وتزايد صنائع أخرى معها مما تدعو إليه عوائد الترف وأحواله من جزار ودباغ وخزار وصائغ .... والدهان والصفار والحمامي والطباخ والشماع[2] .

فقد كان للجانب العمراني في مدينة طبنة دورا فعالا وبارزا على تطور صناعتها، وكان المساهم الكبير في إشعاع إنتاجها النباتي والحيواني، كما أن جلب المعادن من المدن المجاورة لها (بونة وبجاية...) ساعد على تنشيط مختلف الصناعات، فعن أهم الصناعات التي اشتهرت بها مدينة طبنة فهي متعددة ولعبت دورا في حركة التبادل التجاري على الصعيدين الداخلي والخارجي وهي كالتالي:

[1]- سامية مصطفى مسعد، الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة أيام المرابطين و الموحدين. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003، ص119.

[2]- ابن خلدون، المقدمة.تح: عبد الله محمد الدرويش،ط:1،دار يعرب، دمشق،2004، ص359.

أبرز الصناعات والمهن:

كما هو الحال كل مدن المغرب الأوسط تختلف صناعاتها ومهن وتنوع حرفها، فنجد مدينة طبنة التي اشتهرت بصناعات كثيرة ومن أسباب ذلك التنوع البشري داخل المدينة ومن أبرز صناعاتها نجد:

صناعة الصوف: يعتبر الصوف مادة أولية ذات أهمية وهو متوفر بكثرة في مدينة طبنة، فكان يفرش في المجالس والبيوت، وكان من المنتوجات التي تقدم كهدايا غالية وذات قيمة، حيث كانت المنطقة مشهورة بصناعة الخيمة المصنوعة من الصوف تدعى الخباء، والمصنوعة من الشمر تدعى الفسطاط والمصنوعة من الوبر تدعى البجاء ...[1] فيبدو أن صناعة الصوف من أبرز التخصصات في الصناعة، فهو يستعمل في صناعة الألبسة الشتوية التي تحميهم من قر البرد وأيضا يشير ابن الصغير إلى وجود أكسية الصوف في تيهرت وهي لا شك من إنتاج محلي أو من مدن المغرب الأوسط القريبة ومنها طبنة عاصمة الزاب[2] وكان يطلق على كل من الناسج أو بائعها باسم "الصواف"[3]

صناعة القطن: يعتبر القطن ذو أهمية ومادة أساسية فكان أهل طبنة مهتمين بزراعة القطن، فيذكر المقدسي عن زراعة القطن بالمدينة فيقول: ".... وهي مدينة حسنة كثيرة المياه والبساتين والزروع والقطن ..."[4] وهذا يدل على أن مادة القطن كانت متوفرة بكثرة وكانوا سكان طبنة مهتمين بصناعته واستغلاله وهو ما زاد في الإنتاج الصناعي.

ونظرا لتوفر مادة القطن بالمدينة ومواد الصباغة فقد أحرزوا تقدما كبيرا في صناعة المنسوجات القطنية فأبدعوا في زخرفة الرسوم والألوان غير أن بعض الصناع كانوا يقومون ببعض

[1]- الدباغ، معالم الإيمان في أهل القيروان. ج2، تح: إبراهيم شيوح، مصر، 1968، ص198.
[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص336.
[3]- الدباغ، المصدر السابق، ج2، ص198.
[4]- المقدسي، المصدر السابق، ص221.

المخادعات مثل خلط القطن القديم بالقطن الجديد وعدم تنقيته جيدا من القشرة، وكانوا يحفظون القطن في مناطق ندية فيزيد وزنه[1].

وكانت كثرة المياه هي التي تدفع بفلاحي الناحية إلى استغلال جزءا من الأراضي في إنتاج المحاصيل الصناعية مثل القطن الذي يحتاج إلى كمية هامة من المياه ولعل توفره قد أدى إلى انتشار صناعة المنسوجات القطنية بالمدينة وتحويلها إلى منتوجات.[2]

صناعة النسيج: لقد اشتهرت مدينة طبنة بصناعة النسيج وهذا راجع إلى توفر المادة الخام خاصة مادة الصوف، فيعتبر النسيج من أهم الصناعات والمهن في العصر الوسيط، فخلال القرن النصف الأول من القرن الثالث هجري شوهد رخاء اقتصاديا مما زاد في الصناعة النسيجية فيصف البكري البربر بأنهم يلبسون برانس سود حصينة لا ينفذها الماء وصنعوا الأردية ومنها المعصفرة والقلانس المصبغة والقمصان والغلالات والسراويل والمناديل وغيرها[3]، فإن استعمالات النسيج متعددة لا يمكن اقتصارها على الألبسة فقط بل تتعد من دون ذلك فكانت تنسج الخيم وأيضا تصنع الأفرشة والأغطية والستائر والفوط.[4]

الصناعة الفخارية: كثيرة من أثار الفخار بمدينة طبنة[5] التي تدل على مدى عناية سكانها بهذه الصناعة، فكانوا يستعملونها في البناء وفي الاستعمال المترلي فيصنعون بها صحون للأكل والقلال للشرب والكوانين التي توقد عليها النار ويوضع فيها الجمر لمواجهة البرد القارص بالشتاء، ويصنعون القدور والخوابي لحفظ طعامهم والأطباق والأقداح،[6] فيظهر أن الصناعة الفخارية في مدينة طبنة كانت منتشرة بكثرة فتم العثور على قطع فخارية متلاصقة وعوجاء مصنوعة من طين

[1]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج1، ص257.

[2]- مختار حساني، موسوعة تاريخ و ثقافة المدن الجزائرية. ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007، ص74.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص262.

[4]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص363.

[5]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج3، ص363.

[6]- انظر الملحق رقم 03

أبيض وخوخي مائل إلى الاحمرار، مطلية بطلاء أبيض ومزينة بزخرفة،[1] وكانت طبنة السابقة في صناعة القرميد وتم انتقالها إلى المدن المجاورة لها.

الصباغة والدباغة: كان للصباغة اتصال مباشر بالأقمشة فكانت تتم الصباغة بالزعفران لينتج اللون الأصفر واستعملوا الحناء لصباغة الثياب الحريرية فكان يخرج اللون مشرقا وكان مقتصرا على ثياب النساء دون ثياب الرجال،[2] فكان استعمال مواد الصباغة لإنتاج أقمشة مختلفة الألوان، إضافة إلى أن هذه الصناعة محتكرة على اليهود المقدمين بطبنة فكانوا هم من يمتهنون هذه الصناعة، وتشير الكثير من المصادر أنها كانت مرتفعة التكلفة، فتشير إلى ارتفاع ثمنها ففي عملية صبغ 66 رطلا من حرير غير مبيض كان الثمن ثلاثمائة دينارا، وقيمة التالف بينها عشرون دينارا أو ثمن القرمز اللازم لصباغتها خمسة وثمانون دينارا وأجور الصباغين عشرون دينارا، فهذه الأسعار كانت متقاربة في المدن الإفريقية.[3]

أما الدباغة فهي عبارة عن عملية تجرى على جلود الماشية لتصبح صالحة لمختلف الاستعمالات وكان يستعمل في هذه الصناعة قشور الرمان والشب أيضا[4] فاشتهرت هذه الصناعة داخل مدينة طبنة حيث كانت هذه المهنة منبوذة وهذا راجع إلى تلك الروائح النتنة بالجلود ولكن رغم هذا فمنها تصنع الأحذية وسروج الأحصنة، كما كانت تستخدم في صناعة القربة لشرب الماء والطبول والدفوف كذلك، فكان الجلد يدبغ جيدا ويستعمل في عملية الكتابة.

---

[1]- بوربية رشيد، الدولة الحمادية تاريخها و حضارتها.ديوان المطبوعات الجامعية، 1977، ص277-279.

[2]- القاضي النعمان، دعائم الإسلام و ذكر الحلال و الحرام و القضايا و الأحكام. ج1، تح:صف بن علي، ط:3، دار المعارف، القاهرة، 1969، ص314.

[3]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص314.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص72.

المبحث الثالث: الزراعة

أ- **النشاط الزراعي:** تتميز مدينة طبنة بطابعها الفلاحي إذ هي منطقة فلاحية بامتياز، فالنشاط الزراعي بها يتعلق بالأراضي المحيطة بها المتمثلة في غراسة الأشجار المثمرة لتوفر المياه بها[1] فوصفها ابن حوقل بكثرة البساتين،[2] كما أنها شهدت ازدهارا كبيرا فعرفت بالمدينة العظمى وهذا راجع للدور الهام لريفها رغم أن الزراعة كانت تعتمد على الوسائل والأساليب الزراعية المعروفة في ذلك الوقت، حيث أن الفلاحون كانوا مقيمين بأراضيهم فهي مأوى لهم ومكسب رزق أيضا.

لقد كانت مدينة طبنة كثيرة الغلاة وافرة المياه وهو السبب الذي دفع بفلاحي الناحية إلى استغلال جزء من الأراضي في إنتاج المحاصيل الزراعية والصناعية مثل القمح والشعير والقطن.[3] أيضا فيقول البكري أهلها ببيطام بيت الطعام بجودة زرعها، أما الفدا فيقول "كثيرة المياه والبساتين والزرع من القطن والحنطة والشعير،[4] وهذا دليل على أن المزروعات كانت تعم جميع أرجاء المغرب الأوسط ومدنها.

كما أن كبار الملاك كانوا يعتمدون على وكلاء لسير شؤون صناعتهم ومزارعهم والتجار بها يستثمرون أموالهم في المجالات الزراعية لأنها تشكل موردا مضمونا وهو الحال لمعظم مدن إفريقية الإسلامية.

إن النشاط الزراعي بإقليم الزاب خاصة بمدينة طبنة ازدهرت بتنوع المنتوجات الزراعية والحيوانية التي ساعدت في التطور الصناعي والتجاري.

---

[1]- مختار حساني، المرجع السابق، ص74.

[2]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص88.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص74.

[4]- ابن كثير، أبو الفدا إسماعيل بن كثير، البداية و النهاية، مكتبة المعارف، بيروت،د ت، ص139.

أبرز المزروعات:

• **القمح والشعير**: يعتبر كل من القمح والشعير المادة الأساسية والغذائية لمدينة طبنة، وكانت هي أهم مادة في أكلهم، فكانت هاتين المادتين تزرع بكثرة في مختلف أراضي إقليم الزاب، فهما سهلتا الزرع يحتاجان فقط للأمطار الغزيرة ولا يتطلبان أعمال الري، وهذا العامل ساعد على زرعهما بكثرة، فيرى الدمشقي أن في أغلب الأحيان يلجأ الناس إلى تخزين الدقيق في خوابي تكون في ناحية من نواحي المترل، وقد كانت هذه الوسائل من مطامير وخوابي معروفة في مدن المغرب الأوسط[1] لقد كان القمح بعدما ما يطحن يستعمل في مختلف الأشياء مثل تحضير الخبز وإعداد الحلويات ....، فهاتين المادتين القمح والشعير لا تزال تلك الناحية تهتم بهذا النوع من الزراعة إلا أن الظروف المناخية قد أثرت في الإنتاج خلال القرن الرابع هجري العاشر ميلادي فارتفع سعرها.[2]

يذكر الإدريسي على تخزين هذه المادة فيقول: إن الحنطة تخزن في المطامير مائة عام، وأنه يوجد مطمورتان وثلاثة وأربع في كل دار، كما أن الحنطة تذهب النقود وبها تملك المدائن والرجال وببطالتها تفسد الأحوال وينحل كل نظام.[3]

• **التمور**: كان سكان مدينة طبنة مهتمة بزراعة التمور فكانت ذو قيمة على غرار الفواكه الأخرى، كما أنه زادا للمسافر وهناك أنواع من التمور منها الكسبا[4] وأيضا نوع آخر يسمى بالليباري وهو أبيض اللون وأملس كان يسوق إلى بلاد القيروان بجودته وطنية، يذكر الحميري على أن التمر كان من بين التجارات التي تسوق فيقول: "و بها صنائع وتجارات ولأهلها تصرف في ضروب من التجارات والتمر وسائر الفواكه بها كثيرة.[5]

---

[1]- أبو الفضل الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تح: البشيري الشوديحي، مطبعة الغد الإسكندرية، 1977، ص49.

[2]- حساني مختار، المرجع السابق ، ص75.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص86.

[4]- الكسبا، هو نوع من التمور، هو المعروف بالمشرق بالسماني.

[5]- الحميري، المصدر السابق، ص385.

و يقول الإدريسي " والتمر بها كثير ..."[1] وهذا إن دل يدل على وفرة هذا المنتوج وإنتاجه بمنطقة طبنة كما أن طعام يبقى طوال أيام السنة ولا يفسد.

- **البقول:** لقد كانت كثيرة المنتوجات الزراعية ووفيرة بأنحاء المغرب الأوسط خاصة مدينة طبنة التي اشتهرت بمزروعاتها، فأشار ابن بصال إلى البقول والخضروات التي كانت بها فيقول كانت معروفة اللفت والجزر والفجل والثوم والبصل والكرنب والسلق والخس والفقوس،[2] فكان أغلب الرحالة لا يذكرون بقولها بتفصيل لكثرتها لذا كانوا يذكرون لفظ مزرعة أو بستان.

- **الزيتون:** لقد كانت أشجار الزيتون معروفة بالمغرب الأوسط وخاصة في جبال الأوراس وهذا لأن هذه الأشجار كثيرة التحمل للبرودة والجفاف فيذكر البكري أنها كانت كثيرة النخيل والزيتون،[3] فإضافة إلى غرسها فكان سكان طبنة يقومون بهرس حبوب الزيتون بواسطة عجلة يديرها حيوان ثم يمر الزيتون المهروس إلى المعصرة، وأيضا بطرقة أخرى وهي غلي الزيتون ثم عجنه ويترك في أحواض فيطفو الزيت حيث لازلت هذه الطريقة البدائية تستعمل إلى اليوم بمنطقة الأوراس، فكان أهل طبنة منتجون لزيت الزيتون الذي يستهلك كغذاء وعلاج في نفس الوقت فهو من الأشجار الضرورية لتعدد فوائده.

- **القطن:** ويذكر الحميري مدينة طبنة فيقول هي حسنة كثيرة المياه والبساتين والزرع والقطن[4] ...، وأيضا يذكر الإدريسي إلى وجود القطن في منطقة طبنة بكميات كبيرة ربما حتى أصبح يسوق إلى المدن المجاورة،[5] ويذكرها كذلك أبو الفدا فيقول: أكثر زرعهم مسقي وأكثر غلاتهم القطن.[6] فمادة القطن تعتبر أيضا نبات طبيا يمكن التداوي به إضافة إلى أنه منتوج يمكن تسويقه.

---

[1]-الإدريسي، المصدر السابق، ص261

[2]- ابن بصال، كتاب الفلاحة، تطوان، 1955، ص114.

[3]- البكري، المصدر السابق، ص172.

[4]- الحميري، المصدر السابق، ص387.

[5]- الإدريسي، المصدر السابق، ص56.

[6]- أبو الفدا، المصدر السابق، ص139.

• **الحلفاء والشيح**: ذكر الدرجيني عن تواجد الحلفاء فقال: ويظهر أنهم كانوا يصنعون منها حبالا وحصيرا وأن البعض كان متخصصا في تصنيع الحلفاء.[1] إضافة إلى أنها تستعمل علاجا لمختلف الأمراض، أما عن نبات الشيح فكان يستعمل لعلاج وقتل الديدان البطن ومسكن للأوجاع وهو ذو طعم مر، وهو إلى اليوم ينمو في مدينة طبنة ومازال يستعمل للتداوي في بعض قرى مدينة طبنة.

طرق الزراعة:

كان اعتماد الفلاحين على سائل تقليدية، فكانوا يستعينون بالعديد منها لأجل إنجاز أعمالهم الفلاحية ومن بين هذه الأدوات نجد المحراث الخشبي البسيط الذي يقوم بجره الحيوانات، وأيضا استعملوا المسحاة والمجرفة والجاروف،[2] وتستعمل الجواريف الكبيرة في الأرض الواسعة، وتستعمل المناجيل لحصاد المنتوجات والمذرات للتذرية حيث كانت الزراعة على نوعين زراعة شتوية وزراعة صيفية، فكانوا يستفيدون من الأرض مرتين، فيزرعون أولا معتمدين على مياه الأمطار وبعد جني المحصول يقوم بزرع الخضر[3]، وأيضا كانت تحرث الأراضي عاما بزرع بعضها والبعض الآخر يبقى بورا ويزرع في العام القادم.

كما عرفوا أيضا بتسويتهم للأراضي وذلك بنقل التربة من مكان مرتفع إلى مكان منخفض ويتم التأكد منه بجريان المياه وبعد قيامهم هذه العملية يقومون بتقسيمها إلى قطع، وتسميد الأراضي بالتسميد التقليدي المتمثل في بقايا فضلات الحيوانات وهي الأكثر ملائمة للمزروعات.

• **الري**: على حسب الموقع الإستراتيجي لمدينة طبنة فهي أكثر استفادة من عنصر الماء واستغلاله في مجالات ذات نفع حضري وزراعي، فيرى قولفن أن ألف سنة تقريبا لا تكفي لتغيير مناخ منطقة ما وهذا يعني أن أمطار ذلك الوقت ليست كما هو في الوقت الحالي، فإن مدينة طبنة كانت بها

[1]- الدرجيني، المصدر السابق، ص99.

[2]- الجاروف، هو آلة حديدية تسحب بحبال لتسوية الأرض أو توجيه المياه الجارية على الأرض المزروعة.

[3]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص350.

أطلال منشآت الري منها السدود والقنوات والأحواض والصهاريج، بالإضافة إلى مطاحن الحبوب والمخازن ومخازن الغلات وما إلى ذلك بقايا الأنشطة الزراعية حيث يرى صولي في تحقيقه الإداري عن أشغال الري القديمة في الجزائر. عددا من آثار السدود المهمة التي كانت مقامة في وادي بريكة منها واحد كان في الشمال من مدينة طبنة، اعتبره صولي من السدود الكبرى[1]،وتعترض سدود مجرى نهر بيطام إلى الجنوب الشرقي من مدينة طبنة وذلك على أبعاد متقاربة لا تتجاوز ثلاث كيلو مترات في المعدل .

تشير الكثير من المصادر الإسلامية على أن بساتين مدينة طبنة تسقى من نهر بيطام، فيذكر البكري "و في داخل القصر جامع وصهريج كبير يقع فيه نهرها، ومنه تسقى بساتينها".[2]

كما أن كانت الكثير من أراضيهم تقع على ضفاف النهر مما جعل مياهه تستعمل في السقي لأن الناحية تتميز بقلة سقوط الأمطار في فصل الشتاء وكثرة المياه هو الذي دفع بفلاحي الناحية إلى استغلال جزءا من الأراضي في إنتاج المحاصيل الصناعية مثل القطن.[3]

تربية الحيوانات:

كان للمواشي منافع وفوائد قيمة يستغلها الإنسان حيث كانت جلودهم تستعمل في صناعة الأفرشة والقرب كما أنها توضع تحت المطاحن اليدوية ويستفاد من لحومها وألبانها، إضافة إلى أنها كانت تساعدهم على الترحال كذلك، وأيضا كانت أحذيتهم وألبستهم من جلودها وصوفها وأغطيتهم وأفرشتهم كذلك منها فيذكر ابن حوقل: "إن طبنة كانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعم"[4] فمن أبرز حيوانات مدينة طبنة نجد:

[1]- حسناء منصر،المرجع السابق، ص64.

[2]- البكري، المصدر السابق، ص50-51.

[3]- مختار حساني، المرجع السابق، ص74.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص

الأغنام والأبقار: لقد كانت مدينة طبنة تتوفر على المراعي الواسعة وهذا ما ساعد على تربية الأغنام والبقر والماعز بأعداد هائلة والاستفادة من صوفها في الأفرشة والألبسة الشتوية، إضافة إلى ألبانها ولحومها فيشير الإدريسي: إلى رخص السمن والزبد والبقر والغنم وإلى كثرة الأبقار،[1] وكان تواجد الأبقار بمدينة طبنة يرجع هو الآخر لوفرة المياه لأنها تحتاج إلى كمية هامة من الكلاء عكس بقية الحيوانات الأخرى.[2]

الإبل: لقد كانت مدينة طبنة ملائمة لتربية الإبل وهذا لكون مناخها الحار، كما أن المنطقة كانت ملائمة للنباتات الصحراوية كالحلفاء والشيح ...، فيذكر ابن خلدون "أن الإبل من مكاسب أهل التحفة،[3] فكانت تربية الإبل بكثرة في مدينة طبنة لتأقلمها بالمناخ الصحراوي من جفاف وارتفاع درجة الحرارة بها، كما أن كان يستفاد من ألبانها وتعتبر دواء مفيد لجسم الإنسان، وأيضا كانت تساعدهم على السفر والترحال من منطقة إلى أخرى.

البغال والخيول: لقد كانت تستعمل البغال في عملية حرث الأراضي الزراعية إضافة إلى حمل الأمتعة والأشياء الثقيلة فيذكر ابن حوقل إلى وجود البغال في المغرب الأوسط عامة،[4] أما الخيول فكانت أسمى من البغال فلا تستعمل في حمل الأثقال بل كانت تستخدم في السفر وأيضا في الحروب والمعارك، ولازالت مدينة طبنة إلى يومنا هذا تسهر على تربية الخيول بشكل كبير.

[1]- الإدريسي، المصدر السابق، ص

[2]- مختار حساني، المرجع السابق، ص75.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص175.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص89.

المبحث الرابع: التجارة

لقد شهدت التجارة في مدينة طبنة تطورا ملحوظا إذ كان سكانها يسافرون إلى المناطق البعيدة بحثا عن الأرباح والتشهير بسلعهم، فيصف ابن خلدون ذلك: "وكذلك نقل السلع من البلد البعيدة المسافة أو شدة الخطر في الطرقات يكون أكثر فائدة للتجارة وأعظم أرباحا وأكفل بحوالة الأسواق لأن السلع حينئذ تكون قليلة معوزة لبعد مكانها أو شدة العزر في طريقها فيقل حاملوها ويعز وجودها وإذا قلت وعزت غلت أثمانها.[1]

كما أن حكم الموقع الإستراتيجي الجغرافي لطبنة جعلها منطقة تجارية كبرى وسوقا هامة، كما كانت المنتوجات الزراعية والصناعية أساسا للتجارة الداخلية والخارجية، إضافة إلى الأسواق التي مثلت عنصرا هاما في الحياة الاقتصادية فكانت بطبنة أسواق[2] كثيرة فسكانها أغلبهم تجارا[3]، فللأسواق أهمية في الاقتصاد لما تجمعه من حرف وصنائع مختلفة وكل الأجناس من الناس، كما كانت تلعب دورا ثقافيا ففيها تقام المناظرات الدينية وتناقش المسائل الاجتماعية وينقها التجار[4]، إضافة إلى أنها كانت تقع بها الخصومات والغدر والثأر والسرقة، وبصفة عامة فإن السوق كانت تمثل العمل التجاري والثقافي والاجتماعي كذلك فهي متعددة الخدمات، إضافة إلى أن كان يسود الأمن بها فإن بعض الحوانيت كانت تظل مفتوحة الأبواب طوال النهار[5] فإن الأسواق كانت متعددة بطبنة، فكثرت ضروب التجارات بها وربما مثلت صناعة الأقمشة الكتانية والقطنية أهم منتوجاتها الحرفية، فالأسواق أهم المرافق الأساسية للتجارة الداخلية والخارجية، والتي مثلت عصب

---

[1]- ابن خلدون، العبر،المصدر السابق،ج1، ص 422 .

[2]- السوق: لغة هي التي يتعامل فيها و سميت كذلك لأن التجارة تجلب إليها و المبيعات تساق نحوها، فعرفها ابن خلدون بقوله: إعلم أن الأسواق كلها تشمل على حاجات الناس فمنها الضروري و هي الأقوات من الحنطة و الشعير و ما في معناها و من الحاجي و الكمالي"، ابن خلدون، المقدمة،المصدر السابق، ص367.

[3]- الداعي ادريس عماد الدين القرشي ،عيون الاخبار وفنون الاثار في فضائل الائمةالاطهار، تح:مصطفى غالب، دار الاندلس،بيروت، د ت، ص 138.

[4]- كنون عبد الله، النبوغ المغربي، المطبعة المهدية، تطوان، دت، ص329.

[5]- الخشني القروي: قصاة قرطبة. تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1989، ص76.

الحياة الاقتصادية في المجتمع الإسلامي، فكانت تقوم عبر تجمعات سكانية فيخصصون مكانا يجتمعون فيه للتبادل التجاري وللتزود بما يحتاجونه وهي ما ساهم في تفعيل النشاط التجاري وعلى المستوى المحلي والذي ساهم في تطوير المبادلات التجارية الخارجية.

أما السلع التي كانوا يتعاملون بها فتنوعت بتنوع الأسواق وطبيعة البضائع المعروضة، فكان للمنتوجات الزراعية دورا بارزا في المجال التجاري، فكانت المتصدرة الأولى للسلع، فالإنتاج المحلي كان مختلف من فواكه وخضر ومنتوجات صناعية أخرى.

كما كان للحيوانات من بين تلك السلع وذات أهمية للمتاجرة بها فيذكر ابن حوقل "أن مدينة طبنة كانت وافرة الماشية من البقر والغنم وسائر الكراع والنعم،[1] وكانت سوق رائعة للحيوانات في مدينة طبنة على غرار مدن المغرب الأوسط،[2] وهذا يدل أن الثروة الحيوانية كانت كثيرة وسلعة تجارية للاستهلاك المحلي.

أما المنتوجات الغذائية كثيرة ووفيرة بطبنة، فيذكر اليعقوبي: "و الحبوب فيها غزيرة كثيرة، وهذا يدل على أن المنتوجات الزراعية كانت متنوعة، إضافة إلى أن التجارة كانت مزدهرة بالسلع المصنوعة كالأثاث المترلي والملابس والأحذية، ولوازم البناء والأدوات المترلية للصناعات والمهن وأدوات الفلاحة، إضافة إلى الصناعات النسيجية كالصوفية والألبسة الشتوية كذلك.

فيذكر الإدريسي: "و بها صنائع وتجارات وأموال لأهلها منصرفة في ضروب من التجارات[3] "، السلع إما هي من إنتاج محلي أو مستوردة من خارج الإقليم.

[1]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص 88.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص263.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص263.

الطرق التجارية:

لقد لعبت مدينة طبنة دورا بارزا في الحركة التجارية فكانت تعتبر مفترق هام لمختلف الطرق والمسالك الرئيسية التي كانت تربط بكل الجهات من الغرب والشرق والشمال والجنوب كذلك فباعتبارها عاصمة إقليم الزاب كان لها الكثير من العلاقات التجارية التي كانت تمر عن طريق القوافل التي تعبر بمسالك مختلفة.

فكان لمدينة طبنة علاقات تجارية هامة ولها شبكة طرقات قديمة منذ العهد الروماني، إلا أنها زادت ووسعت في مسالكها في العهد الوسيط التي ساهمت بشكل بارز في ازدهار تجارتها وتوسعها إلى الخارج فمن أبرز طرقها نجد[1]:

1- طريق يتجه نحو الشمال الشرقي ليربط طبنة بنقاوس وقد بلغ طوله حوالي 36 كيلو متر.

2- أما الطريق الثاني فكان يربط طبنة بسفيان وقد قدرت مسافة هذا الطريق بحوالي 16 كيلومتر.

3- أما الطريق الثالث كان نحو الجنوب الغربي في مدينة طبنة باتجاه أمتوكال ثم يستمر بعد ذلك حتى معسكر الدوسن شمال وادي جدي[2].

4- و طريق في اتجاه دار ملول على مسافة مرحلة كبيرة.

5- طريق في اتجاه المسيلة على مسافة مرحلتين وهو يمر على مقرة التي يحدد مسافتها بمرحلة واحدة.[3]

6- طريق يتجه نحو بجاية على مسافة سبع مراحل.

7- طريق في اتجاه باغاي على مسافة أربع مراحل.

---

[1]- أنظر الملحق رقم 04، ص79

[2]- محمد الصغير غانم، مواقع و مدن أثرية، منشورات وزارة الثقافة و السياحة، مديرية الدراسات التاريخية و إحياء التراث، الجزائر، ص ص07-09.

[3]- الإدريسي، المصدر السابق، ص263.

فكانت هذه المسالك تربط مدينة طبنة بالمدن المجاورة لها إضافة إلى أنها كانت تربطها بطرق الكبرى باتجاه القيروان شرقا إلى مدينة فاس وسجلماسة غربا ومنها إلى بلاد السودان والأندلس[1] فمن الطرق التي كانت تربطها بالمدن الخارجية هي[2]:

- طريق من طبنة إلى القيروان عن طريق الصحراء، من القيروان إلى قفصة عبر قمودة ومنها إلى مدائن قسطيلية.[3] ومنها إلى بسكرة ثم طبنة، حيث المسافة بين طبنة وبسكرة مرحلتان ومنها إلى ورجلان على مسافة ثمانية مراحل ومنها حتى ما سبعا وستين مرحلة.[4]

وكذلك هناك طريق أخر يربطها للوصول إلى القيروان فهو يمر بسبيبة ومنها إلى مجانة إلى مسكيانة إلى باغاية، بحيث هذا الطريق يتفرع إلى فرعين، فالأول ينطلق من تيحس فقسنطينة فميلة،[5] أما الثاني فيتجه من باغاية إلى دوفانة ثم إلى بلزمة[6] وهو ذو فرعين واحد يتجه إلى سطيف والثاني نحو نقاوس وصولا إلى طبنة التي تبعد عن القيروان بعشرة مراحل.[7]

- طريق يتجه نحو مسيلة على مرحلتين عبر مقرة التي تبعد عن طبنة بمرحلة واحدة، ومن المسيلة إلى هاز ومنها إلى سوق كرام ومنه إلى مدينة تيهرت وصولا إلى الغرب بتلمسان على مسافة ست مراحل وصولا إلى مدينة فاس التي تبعد عن تيهرت بخمسون مرحلة ثم إلى سجلماسة ثم بلاد السودان.[8]

---

[1]- المقدسي، المصدر السابق، ص247.

[2]- أنظر الملحق رقم05، ص80

[3]- اليعقوبي، المصدر السابق، ص12.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص84.

[5]- الاستبصار، المصدر السابق، ص128.

[6]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص84.

[7]- الإدريسي، المصدر السابق، ص99

[8]- الإدريسي، المصدر نفسه، ص99.

إضافة إلى طريق يربط طبنة بتلمسان وفاس عبر تيهرت يستمر إلى سبتة وطبنة ومنها إلى الأندلس.[1]

فلقد كان لهذه الطرق الكبرى المتفرعة إلى مختلف المدن دورا هاما في إجراء المبادلات التجارية بمختلف السلع والمنتوجات، فلقد كان انطلاق القوافل عبر هذه الطرق محددا بالزمان والمكان فكان كل من أراد أن يرافق القافلة أن يذهب إلى مكان معين خارج المدينة يجتمع فيه التجار، كما كان للقافلة مقدم يتحكم في انطلاقها وفي حلها وترحالها و لم يكن المسافرون في قافلة يقصدون مكانا واحدا بالضرورة، فقد يرفقها بعضهم بمرحلة أو أكثر وفي نفس الوقت ينظم إليها مسافرون آخرون[2] حيث كانت هذه القوافل التجارية تدفع الضرائب إلى الدولة أو القبيلة التي يعبرون حياضها،[3] كما كانت هذه الطرق آمنة من مخاطر قطاع الطرق وهذا ما سهل عملية المبادلات التجارية وتوطيدها.

التجارة الخارجية:

إن مدينة طبنة تتسم بجميع الخصائص التي تميز المدن الأساسية فكانت مركزا تجاريا هاما لأنها تقع في الطريق الذي تجتازه مختلف الطرق التجارية مما أدت إلى زيادة المعاملات بين سكانها وتلك القوافل، فلقد كانت القوافل إما تمر على طبنة أو تكون مغادرة منها محملة بمختلف السلع إلى المدن المجاورة لها والمدن الكبرى أيضا، كما كانت تأتي سلع أخرى كالموز والفستق اللذان كانت تشتهر بهما قابس وقفصة وهذه المنتوجات لم تكون متواجدة بطبنة إضافة إلى الآلات الحديدية كالسيوف وأدوات الزراعة والثياب وحجر المطاحن،[4] كما كانت تستورد منتوجات أخرى كالزئبق والقرمز الإشبيلي من الأندلس التي تحمله عبر القوافل فكانت طبنة نقطة عبور لها وتستفيد من مختلف السلع فموقعها الإستراتيجي وطرقها التجارية بين تيهرت وفاس من جهة

[1]- ابن الفقيه أبو عبد الله الهمذاني، كتاب البلدان. تح: يوسف الهادي، ط:1، عالم الكتب، بيروت، 1996، ص81.

[2]- القاضي النعمان،المصدر السابق ص141.

[3]- المقدسي، المصدر السابق، ص247.

[4]- ابن حوقل، المصدر السابق، ص243.

والجهة الثانية بين القيروان والمشرق الإسلامي إضافة إلى جهة أخرى هي بلاد الروم والأندلس التي كانت تتواصل معها عبر بجاية والصحراء عبر بسكرة وورجلان، وهذا ما زاد في أهميتها التجارية.

فمن أبرز صادراتها التي كانت توجه نحو المدن الأخرى من ثمار والصوف والقطن الذي كان منتوجا وافرا بكثرة بطبنة.

فكان تجار طبنة يحملون معهم إلى المشرق من إنتاج محلي ومستورد من مدن أخرى فيتاجرون بالأكسية الصوفية رفيعة، إضافة إلى الخيول التي كانت مشهورة بتربية الخيول،[1] إضافة إلى تصدير الأغنام من المغرب الأوسط إلى بلاد المغرب والأندلس ذلك لرخصها وطيب لحومها.[2]

[1]- ابن حوقل، المصدر نفسه، ص88.

[2]- ابن الصغير، المصدر السابق، ص178.

الفصل الثالث:

الحياة الثقافية في مدينة طُبنة

المبحث الأول: أبرز علماء طبنة

لقد تمخض عن هذه البيئة في عصرها أعلاما في الفقه والأدب واللغة ومختلف العلوم، وارتفعت بهم أعلام السنة حتى في عهد الدولة الفاطمية الشيعية، وقد حاولت دون تحقيق غاياتها في النيل من رجالات طبنة وتأليب الرأي العام السني بواسطة المناظرات المذهبية وإبعاد الناس عن هذا المذهب المتأصل فيهم، أو بواسطة الإغراء بالمال، أو استعمال الجبر والفقه لاعتناق مذهبهم ولما فعلوا فتشردوا فقهاء السنة المالكية خارج حواضر إفريقية وهي سببا رئيسيا في تنقل أسر طبنة[1] من هذه المدينة وهم في غاية عطائهم الفكري والأدبي واستقروا بالأندلس أو مصر أو بغداد.

محمد بن الحسين الطبني:

محمد بن الحسين من أسرة عربية صميمة تنتمي إلى بن حماد بن تميم، وقد ولد بهذه المدينة العامرة سنة 300 أو 303 على قول آخر، ومن المؤسف جدا أننا لا نجد شيئا عن حياته في كل المصادر التي أمكن الإطلاع عليها، سواء كتبت في عصره أو بعده فلا نعرف أين ولا على من تلقى دراسته وأغلب الظن أن شأنه لم يرتفع إلا بعد أن ترك مسقط رأسه[2] حيث علا صيته في الأندلس.[3]

زيادة الله الطبني:

ولد أبو مضر زيادة الله بن علي بن الحسين التميمي الطبني حسبما نقل صاحب الصلة عن ابنه أبي مروان عبد الملك، سنة 336ه، ولكنه لم يحدد مكان مولده، ولعله ولد بقرطبة بعد انتقال أبيه إليها[4] وقد اشتهر برواية الحديث والتبصر في اللغة والأدب، وبالتفنن في صناعة الطرائف.[5]

---

[1]- لقبال موسى، المرجع السابق، ص98.

[2]- أبو العيد دودو، كتب و شخصيات الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1979، ص8-9.

[3]- عبد الرحمان الجيلالي، شخصيات لامعة في الأوراس، الأصالة العدد 61/60، اوت، سبتمبر، 1978، ص108.

[4]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص16.

[5]- موسى لقبال، المرجع السابق، ص99.

شعره: يذكر أن له كتابا سماه "الحمام" ألفه للمنصور محمد بن أبي عامر، ثم يروي من شعره فيه قوله:

أذكر القلب بالتصابي فحنا ساجع في أرالة قد أرنا

أخضلت ريشه السماء بطل ورأى الروض مونقا فتغنى

غرد بالسرور فازت يداه بحبيب عليه لا يتجنى

بأبي عامر رأى الدين في الكفر على رغم أهله ما تمنى

ملك لم يزل بركفى المذاكي وجهاد العدا مشوقا معنى

و حين جلس عبد الرحمان بن المنصور غداة وفاة أخيه عبد الملك المظفر بقصر الزاهرة سنة 399ه قال زيادة الله يهيئه لولاية العهد:

تخير الله والسلطان للأم ولى عهد يراه الله من كرم

لا يعدم الملك منه أن يشيد له عزا سديد بضرب السيف والقلم

اختاره الله للإسلام يحفظه وخصه بعلو القدر والهمم[1]

هجرته إلى الأندلس:

اختلف المؤرخون في تاريخ السنة التي قدم فيها للأندلس، فيذكر صاحب الصلة أنه دخلها سنة 325ه[2] والظاهر أن الاضطرابات والفتن التي عمت الجزائر في السنوات التي سبقت هجرته، من ظهور دعاة الشيعة، وخروج ابن أبي العافية، ثم ما عقب ذلك كان سببا مباشرا أو غير مباشر

[1]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص ص19-20.

[2]- إبن شكوال، المصدر السابق، ص462.

في رحلته عن بلاده، وليس هنا مجال للحديث عن تفاصيل ذلك[1] ويذكر صاحب الجذوة[2] أنه ولى الشرطة وكان له أولاد نجباء.

و من أشعاره فقد ذكر له في باب الوقوف على الديار والربوع ثلاث أبيات جميلة يصور فيها عفاء الديار تصويرا بديعا[3]

و أصبحت بعد أشواق ربوعهم مثل السطور إذا ما رثت الكتب

فقرا بباب كأن لم تغن أهله تبكي على حتفها غربانها النعب

كأن باقي مغانيها وأرسمها منابر نصبت والطير تختطب

و نذكر له أيضا أبياتا يعلن فيها عن اعتزازه بحسبه، فهو لذلك لا يريد أن يعاقب الوغد الذي تجرأ عليه وهجاه فما هو إلا كلب عوى:

و وغد إن أردت له عقاب عفا عن ذنبه حسبي وديني

يؤنبني بغيبة مستطيل ويلقاني بصفحة مستكين

و لو لا الحاء أنه لجام لداس الفحل بطن ابن اللبون

و قالوا قد هجاك فقلت كلب عوى جهلا إلى ليث العرين

وفاته:

توفي الطبني بعد أن تقدم به الهم، غداة يوم الإثنين لثالث من ذي الحجة سنة 394ه وحضر جنازته المظفر عبد الملك يصحبه ووزراؤه ورجال دولته ودفن يوم الثلاثاء بعد صلاة العصر في مقبرة الربض.[4]

---

[1]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص9.

[2]- الحميدي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تح: روحية عبد الرحمان السويفي، ط:1، دار الكتب العلمية،ص97.

[3]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص ص12-15.

[4]- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص11.

عبد الملك زيادة الله بن علي بن حسين بن محمد أسد التميمي:

كان يكن بأبي مروان، من بيت علم ونباهة وأدب وخير وإصلاح، وأصلهم من طبنة وقد طرأوا على الأندلس قبل افتراق الجماعة وانتشار شمل الطاعة[1] كانت له رحلات لمصر والحجاز سمع من الكثير من المحدثين وذكره الحميدي فقال: هو من أهل بيت جلالة، من أهل الحديث والأدب، إماما في اللغة، شاعر وله سماع في الأندلس، وقد رأيته بالمرية في آخر حجة حجها وقال: أخبرني أبو الحسن العائدي أن أبا مروان الطبني لما رجع إلى قرطبة أملى فتجمع إليه في مجلس الإملاء خلق كثير وقال فيهم شعرا وله العديد من المختارات[2] وأغلب الوافدين من المغرب الأوسط استقروا للتدريس لما لهم من قدرات مثل مترجمنا أبو مروان الطبني المحدث اللغوي الذي ترك أثرا كبيرا بالأندلس لكثرة الطبنة الذين درسوا عليه وتعددهم في كتب التراجم[3] وقد سمع من جماعة المحدثين بمصر والحجاز[4] ولما عاد إلى قرطبة اجتمع حوله الناس، في مجلس الإملاء، فأنشد:

إني حضرتني ألف محبرة تقول حدثني طورا وأخبرني

يا حبذا ألسن الأقلام ناطقة هذي المكارم لا قعبان من لبن[5]

مقتله:

كانت نهاية آبي مروان نهاية مفجعة،فقد روى لنا ابن بسام قصة عن ابن حيان وهي انه تعود ببخل أهله في المأكل والمشرب، وكان لذلك يعيش معهم في نزاع دائم وتنافر مستمر،ويترك نساؤه وجواريه يأكلن الخبز بلا أدام وإذا طلبنا منه شيئا غضب عليهن وتجنب رؤيتهن رغم انه كان له راتب شهري وكان ذات يوم منعزلا عن أهل بيته مع دانية عبد الرحمن وهذا الابن بليد

[1]- ابن بسام، أبو الحسن علي، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997، ص536.

[2]- ابن شكوال، المصدر السابق، مجلد 2، ص ص293-294.

[3]- إبراهيم حركات، الثقافة و تبليغها في الأندلس مرحلة النضج ق4-6ه مجلة التاريخ العربي، ع3، المغرب، ص19.

[4]- عبد الرحمان الجيلالي، المرجع السابق، ص108.

[5]- ابن بسام، المصدر السابق، ص536.

وأحمق أثره بعطفه وحبه فجاءت نساؤه وجواريه ودخلت عليه غرفته واخذ يطعنه بالخناجر حتى قضى نحبه حدث ذلك في ربيع الآخر سنة 457ه ثم شرعن في البكاء والعويل [1]

ومن شعر الغزلي قوله:

وضاعت ما بالقلب يوم رحيلهم على ما به منهم حنين الاباعر.

واصبر عن أحباب قلب ترحلوا ألا أن قلبي سائر غير صابر

أبو الفضل عطية بن علي بن الحسين بن يزيد الطبني:

ذكر ياقوت في معجمه البلدان بأنه سافر إلى بغداد وبها سمع الحديث حتى انتصب رواية له، وكان شاعرا مجيدا، ومن أشعاره المحفوظة قوله:

قالوا التحى وانكسفت شمسه وما دروا عذر عذاريه

مرآة خـــــديه جلاَها الصبي فلاح فيها في صدغيه[2]

أبو محمد القاسم بن علي بن معاوية بن الوليد الطبني:

به إلمام بعلم الحديث[3] وللإحاطة به أكثر رحل إلى مصر وروي عن المحدث المصري المعروف بالمغربي[4]

علي بن منصور الطبني:

وقد ترجم له ياقوت عند إيراده ذكر مدينة طبنة، ولغيره من أعلامها، فقال عنه انه اشتهر بالحديث، وممن روى عنه غندر المصري[5]

---

[1]- أبو العيد دودو : المرجع السابق ،ص25

[2]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص21

[3]- الطيب بوسعد: دور علماء طبنة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع3، غرداية، ص7

[4]- ياقوت الحموي: المصدر السابق، ج4، ص21

[5]- ياقوت الحموي: المصدر نفسه، ج4، ص21

المبحث الثاني:أنواع العلوم بمدينة طبنة:

لقد ازدهرت الحياة الثقافية العربية والإسلامية في مختلف أنحاء المغرب الأوسط،فتنوعت العلوم من علوم نقلية وعقلية فالأولى كانت ذات امتداد في المغرب وهي تتمثل في الحديث والفقه والتفسير والقراءات في القرن الثالث هجري الموافق لتاسع ميلادي فظلت هذه الكتب المرجع الأساسي للعلوم الدينية [1]

التي تساعد على تفهم روح الإسلام ومعرفة كل تعاليمه،فامتازت طبنة بغزارة الإنتاج في العلوم الشرعية وذلك سبب دخول المذاهب الأخرى من الشيعة والخوارج،لكن رغم هذا ظل المذهب المالكي له السيادة المطلقة وهذا راجع بفضل تلك المجالس الدرس في الحواضر الأغلبية وكون طبنة مقرا لقادة والولاة إضافة لموقعها الاستراتيجي بين الصحراء والتل والأوراس فان تمسك سكانها بالمذهب المالكي وصمودهم في مقاومتهم لتيار الخوارج أهلها أن تكون عاصمة أهل السنة وقلعتهم السياسية والمذهبية الحصينة تدافع عن وحدة المسلمين وبلاد المغرب،كما وفقت لاحقا في وجه الشيعة[2] فان الحركة الثقافية والفكرية بطبنة التي هي جزء من المغرب كله شبيهة إلى حد كبير .بمثيلها في القيروان بحكم تشابه الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية فهي دار العلم إلا أنها لم تبلغ شانها في أوائل القرن الثاني هجري،فأصبحت طبنة قاعدة نشطت الحركة العلمية والأدبية فنافست القيروان في الميدان الثقافي فأنجبت أعلاما في الفقه والعلوم اللسانية والفنية والأدبية[3].

فكان الزاب وعاصمته طبنة به حلقاته بالجوامع وزواياه للتدريس بالبادية وكانت لمدينة تضاهي مدن افريقية ذاتها في العلم ونشره والانكباب عليه فقد كانت طبنة أهم دار للعلم مابين القيراون وتيهرت.[4]

---

[1]- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد – دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية، ج2، دار النشر والتوزيع الجزائر 2002 ص 435.

[2]- موسى لقبال، المرجع السابق ص 89

[3]- طيب بوسعد ، المرجع السابق، ص4

[4]- المرجع نفسه، ص 6.

كما كان هناك لتأسيس المساجد دورا بارزا في تنشيط العلوم النقلية وتطويرها،فقد هيأت هذه الحاضرة مقاما جذابا للأسر العربية والإسلامية أقامت بها وعملت على نشر الثقافة الإسلامية[1]،فشهدت الجوامع قيام حلق التدريس وغصت الرباطات بالعلماء والزهاد.

وعلى الرغم من تطور العلوم العقلية والدينية بطبنة التي هي من أهم الحواضر فانتشر العلم فكان الطبنيين يزاولن تعليمهم الأولى بمسقط رأسهم يذهبون إلى القيروان للاستزادة ومنها يرحلون إلى المشرق قصد التعمق في الدراسة على أعلامه في مختلف العلوم ثم يقفلون راجعين إلى أوطانهم وهم في تزودوا برصيد لا ينصب من الثقافة العلمية النقلية والعقلية ليتصدروا بعد ذلك بتدريس في مدينتهم طبنة أو بإحدى حواضر الدولة الأغلبية .كما نبع في العهدين الفاطمي والحمادي طائفة من إعلام طبنة في الحديث والفقة والتفسير والقراءات والأدب ارتفع بعلمهم لواء المذهب المالكي الذي بقي سائدا في إقليم الزاب[2] .

[1]- حسناء منصر، المرجع السابق، ص 73

[2]- الطيب بوسعد، المرجع السابق، ص 6 .

المبحث الثالث: المنشآت الإسلامية للمدينة:

إن التخطيط في المدن العربية الإسلامية يعتمد بالدرجة الأساس على واحد من أربعة (القرآن الكريم، السنة النبوية، الفقه، الشريعة)، وقد ضمت منشآت المدينة (طبنة) إحدى المحاور وهي: المسجد، الجامع، دار الإمارة والسوق إذ أنها قامت على أنقاض المدينة الرومانية وعلى عمارة الحصن البيزنطي، وقد تم إنشاؤها من مجرد نقطة ارتكاز تحصينية دفاعية لتكون مدينة مكتملة الجوانب العمرانية، حيث احتوت على المعالم الدينية المتميزة للمدينة الإسلامية، وعلى هذا سنقدم لمحة عن أهم المعالم المندثرة التي كانت تحظى بها مدينة طبنة

السور:

امتازت مدينة طبنة بأبراج وأسوار ضخمة من خلال الحصن[1] الذي ورثته عن البيزنطيين، إضافة إلى ذلك قان ولاة بني العباس بإنشاء الأسوار لتدعيم هذا الحصن للدفاع عن المدينة بما توفر من أمن وأمان لسكانها[2]

حسب اتفاق جغرافي العصر الوسيط إن أسوار مدينة طبنة بنيت من الطوب[3] أو التراب كما كان لها أبواب كثيرة بلغت خمسة أبواب ففي الجهة الشرقية للمدينة باب خاقان مبني من الحجر عليه باب من حديد وهو سري، وباب الفتح غربي عليه باب أيضا وبينهما سماط[4] يشق المدينة من الباب إلى الباب، وباب تهوذة قبلي، وباب الجديد حديد أيضا، وباب كتامة جوفي وخارج المدينة بإزاء باب الفتح ويوجد قبالة بلاد كتامة في الناحية الشمالية الغربية

[1]- أنظر الملحق رقم: 06، ص81.

[2]- البكري، المصدر السابق، ج 2، ص 711.

[3]- المصدر نفسه، ج 2،ص711.

[4]- الشيء المصطف.

المسجد الجامع:

يعد المسجد[1] من أهم الفعاليات الدينية في المراكز الحضرية الإسلامية إذ يعتبر رمز الولاية الإسلامية الجديدة التي أصبحت تحكم هذه المدينة، واتخذ المسجد الجامع موقعه المركزي[2] ومثل أول الإنشاءات المعمارية التي شهدتها المدينة، اتخذ ولاة بن العباس مسجد في القلعة مقرا لحكمهم، ويرجع إن تاريخ تأسيس المسجد الجامع بطبنة ثم في أواسط القرن الثاني هجري/ الثامن ميلادي، حيث قدم الوالي المهلبي عمر بن حفص إلى طبنة قصد بناء سور المدينة فقام بإنشاء مسجد جامع بها، وكان موقعه في الجهة الجنوبية الشرقية من الحصن البيزنطي الموروث وقد حظي بأولى معالم ومكونات المدينة الإسلامية.

لا يمكن إن نتصور وضع المسجد الذي كان عليه في الفترة الإسلامية لاختفاء آثاره في الركن الجنوبي الشرقي للحصن البيزنطي، وذلك لوجود مقبرة داخل القلعة تمنع من القيام بالحفريات[3] كما لا يمكن الوصول إلى تصميم المسجد الجامع ومختلف مكوناته (غرفة، أروقة، فناء)[4]

إن صعوبة التعرف على مخطط المسجد الجامع لا يمنع من التأكيد على أهميته في حياة العرب المسلمين.

---

[1]- الملحق رقم: 07، ص82

[2]- عثمان محمد عبد الستار: المدينة الإسلامية، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988، ص28 ص30

[3]- Grange(R) ," monographie de Tobna",Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine, Jordan libraire, Constantine Alger, libraire et colonial, paris, p 68

[4]-Blanchet(p) Excursion archéologique dans le Hodna et le Sahara, recueil des mémoires de la société archéologique du département de Constantine, paris, 1899, p291

دار الإمارة:

كان بناء دار الإمارة مجاور للمسجد الجامع وهي لا تقل أهمية عنه [1] وذلك نظرا للتكامل الوظيفي لكليهما، وقد بني بيت الرسول صلى الله عليه وسلم ملاصقا للمسجد وأصبحت هذه الظاهرة تقليدا معماريا في المدن التي انفصل فيها المسجد الجامع عن القصر أو دار الإمارة مثلما هو الأمر بالنسبة لمدينة طبنة تربط بها شوارع متسعة، تسع لمواكب الخلفاء والولاة أثناء خروجهم إلى الصلاة[2]

لقد وجد احد الباحثين[3]على قطعة من الحصى المنقوش لعلها تمثل بقايا من جدران القصر والذهب إلى أن هذه الأخيرة كانت مغطاة بزخارف جصية منقوشة بعناية بنقوش بربرية تعود إلى مدينة سدراتة[4]، أقيم قصر الولاة في الجهة الشرقية من الحامية البيزنطية وهو بجانب السور الجنوبي للمدينة.

لم نتمكن من التعرف إلى تفاصيل حول بناء القصر ومكوناته الداخلية وهذا لعدم وجود مصادر وأبحاث تقدم ذلك، يذكر البكري نقلا عن محمد يوسف الوراق أن القصر الموجود هو "قديم أولي كبير جليل مبني بالصخر الضخم"[5] وقد مثل مقر الولاة أو العمال كما أشار اليعقوبي[6] وكان لهذا القصر من الأهمية بحيث طغت تسميته للإشارة إلى كامل القصر الذي ضمته الأسوار[7] البيزنطية إذ ذكر البكري "وبها قصر وأرباض وداخل القصر جامع وصهريج كبير".

---

[1]-فواز عائد جاسم كركجة،جوانب من بنية المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها.مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج:11، ع:1، 2011، ص317.

[2]- عثمان محمد عبد الستار: المرجع السابق، ص238 ص 240

[3]-Blanchet (p) : op cit, p288

[4]-مدينة سدراتة الاباضية تقع بالقرب من ورجلان (ورقلة حاليا) وتتمتع بنظام مشترك معهما. حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية(من الجنوب) ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007،ص14

[5]- البكري : المصدر السبق، ج2، ص351

[6]- اليعقوبي : المصدر السابق، ص350ـــ 351

[7]- البكري : المصدر السابق، ج2، ص711

الأسواق:

سيطرة السوق باعتباره أهم مكونات الحياة الاقتصادية على الحياة بالمدن وفي سياق هذا اشتملت طبنة على أسواق كثيرة، أشار الداعي الإدريسي إلى أن أغلب سكان المدينة كانوا تجارا[1] وهذا ما يدل على أن اقتصاد المدينة كان يتمثل في النشاط التجاري كما أن المغرب شهد في تلك الفترة ازدهار اقتصادي انعكس على أسواق المدينة.

مثلت مدينة طبنى نموذج المدينة الغنية بالأسواق، حيث لعب مركز المدينة الجغرافي والإداري دورا هاما في تطور التجارة بها وجعلها قبلة تجار إفريقيا، يذكر الإدريسي على ما يدل على ازدهار الحياة التجارية في طبنة في قوله "صنائع وتاجرات وأموال لأهلها منصرفة من التجارات"[2] ويذكر البكري" أسواق كثيرة غير السماط المذكورة".[3]

الحمامات: [4]

لعبت الحمامات بمختلف أنواعها دورا هاما في الحياة سكان المدن الإسلامية حيث كانت وسيلة هامة للنظافة وتخفيف الجسم والبحث عن الجمال أيضا، إذ تمثل إحدى المرافق الأساسية ومؤشرا على مدى تحضرها.

لقد زودت الحمامات بمصادر مائية وجهزت بقنوات صرف ضرورية وهذا لوفرة المياه إذا كانت عذبة في نواحي طبنة، واحتوى الحمام على ثلاث حجرات للاستحمام إضافة إلى المتوقد الذي يشمل على مواضع لخلع الملابس وحفظها.

---

[1]- البكري : المصدر السابق، ج2، ص712

[2]- الإدريسي : المصدر السابق، ص263

[3]- الحميري : المصدر السابق، ص387

[4]- الحمَة بفتح الحاء وتشديد الميم، العين الحارَّة التي يستشفى بها الأعلاء والمرضى. الرازي، المصدر السابق، ص66

يمكن إن نستنتج أهمية المنشآت العمرانية التي تميزت بها طبنة التي تفسر اتساعها العمراني وتعدد المتاجر والأسواق بها، ولا شك إن هذه الحركة العمرانية دلت على الرخاء الاقتصادي الذي ساهم فيه مختلف أجناس سكان طبنة المختلط .

خاتمة

خاتمة

من خلال ما سبق ذكره يمكن القول عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية بمدينة طبنة أنها عرفت نموا وقوة اقتصادية في تاريخ المغرب الأوسط.

فكانت طبنة قلعة محصنة ومركزا تجاريا مهما في تاريخ المغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة وهذا ما جعلها مدينة معمرة.

إن الحياة الاجتماعية بها كانت خليطا من الأجناس والفئات وهذا ما جعلها تتميز بعادات وتقاليد مختلفة، كما كانت هذه العوامل الاجتماعية سبب في تدهور المدينة وانتشار الفتن والفوضى والأمراض وهذا ما أدى إلى هجرة السكان إلى مدن أخرى.

ومن خلال دراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية وقفنا على مدى تطور هذه الجوانب التي عرفتها مدينة طبنة خلال الفتح الإسلامي وكيف أصبحت قطبا اقتصاديا ساعد في تقدمه الاختلاط الكبير الذي عرفه المجتمع الطبني، كما أن دراستنا للحياة الاقتصادية هي السبيل لمعرفة خصوصيات كل جانب واختلاف المنتوجات الحيوانية والزراعية التي جادت بها المنطقة شارك في ازدهار تجارة الريف مع المدينة، دعَم هذا الازدهار الموقع الاستراتيجي لطبنة فهي جسر عبور وملتقى الطرق التجارية، إضافة إلى ازدهار الجانب الزراعي والتجاري مكنها من جعل تنوع في الحرف والصنائع، وكذلك الجانب الحضاري لها كونها عاصمة إقليم الزاب، فان مدينة طبنة كانت نموذجا للمدينة الوسيطة ومستقطبا اقتصاديا لبقية مدن الزاب.

كما لا ننسى أن الحياة الفكرية والثقافية بها تساعد بشكل كبير في التطور العلمي وانتشار الثقافة الإسلامية وتنوع العلوم والمعارف وتلك الرحلات العلمية لمختلف الأقطار لتزود من مناهل العلم والعلوم.

الملاحق

الملحق رقم (01): موقع مدينة طبنة الأثرية بالنسبة لمدينة بريكة

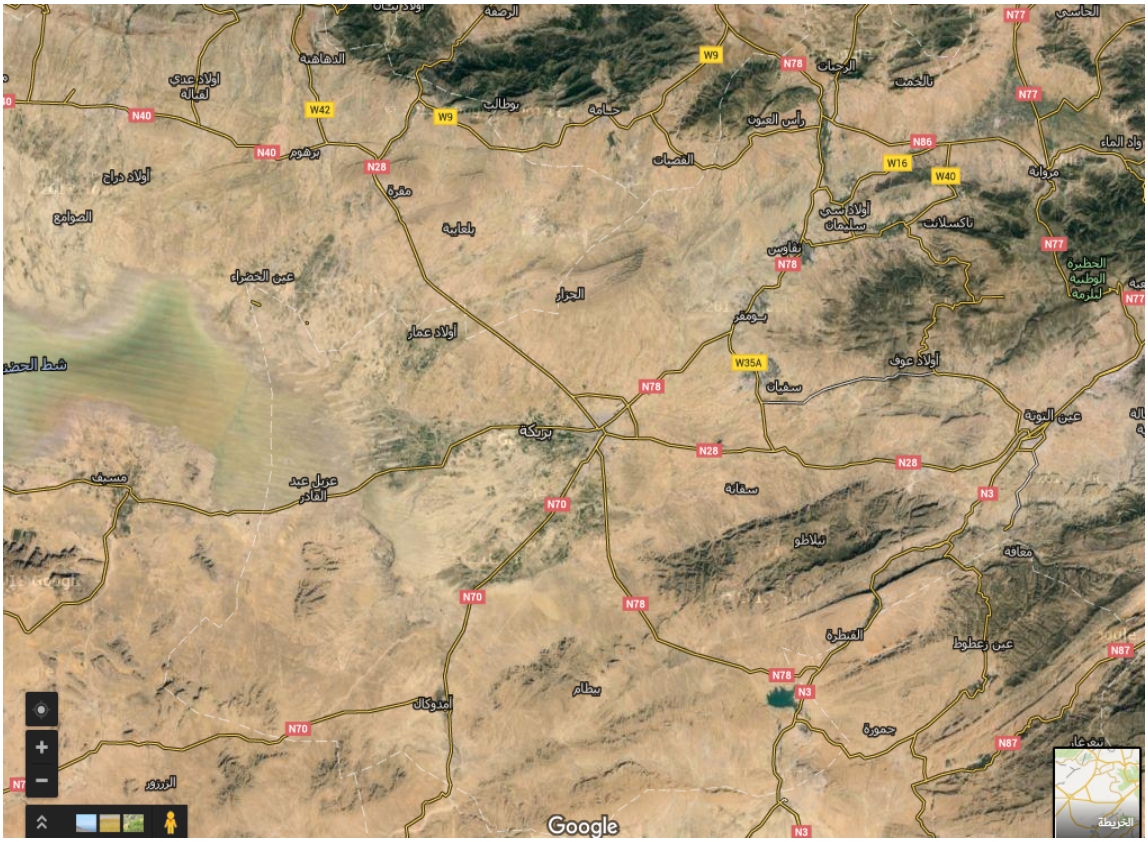

المصدر: Google earth

الملحق رقم (02): توزيع قبائل البربر في المغرب الإسلامي عن إبن خلدون

المصدر: موسى لقبال، دور كتامة ، المرج السابق، ص 666

الملحق رقم (03): الأثار الفخارية لمدينة طبنة

المصدر: tobnabarika.blogspot.com

الملحق رقم (04): الطرق التجارية التي تربط طبنة بالمدن المجاورة لها

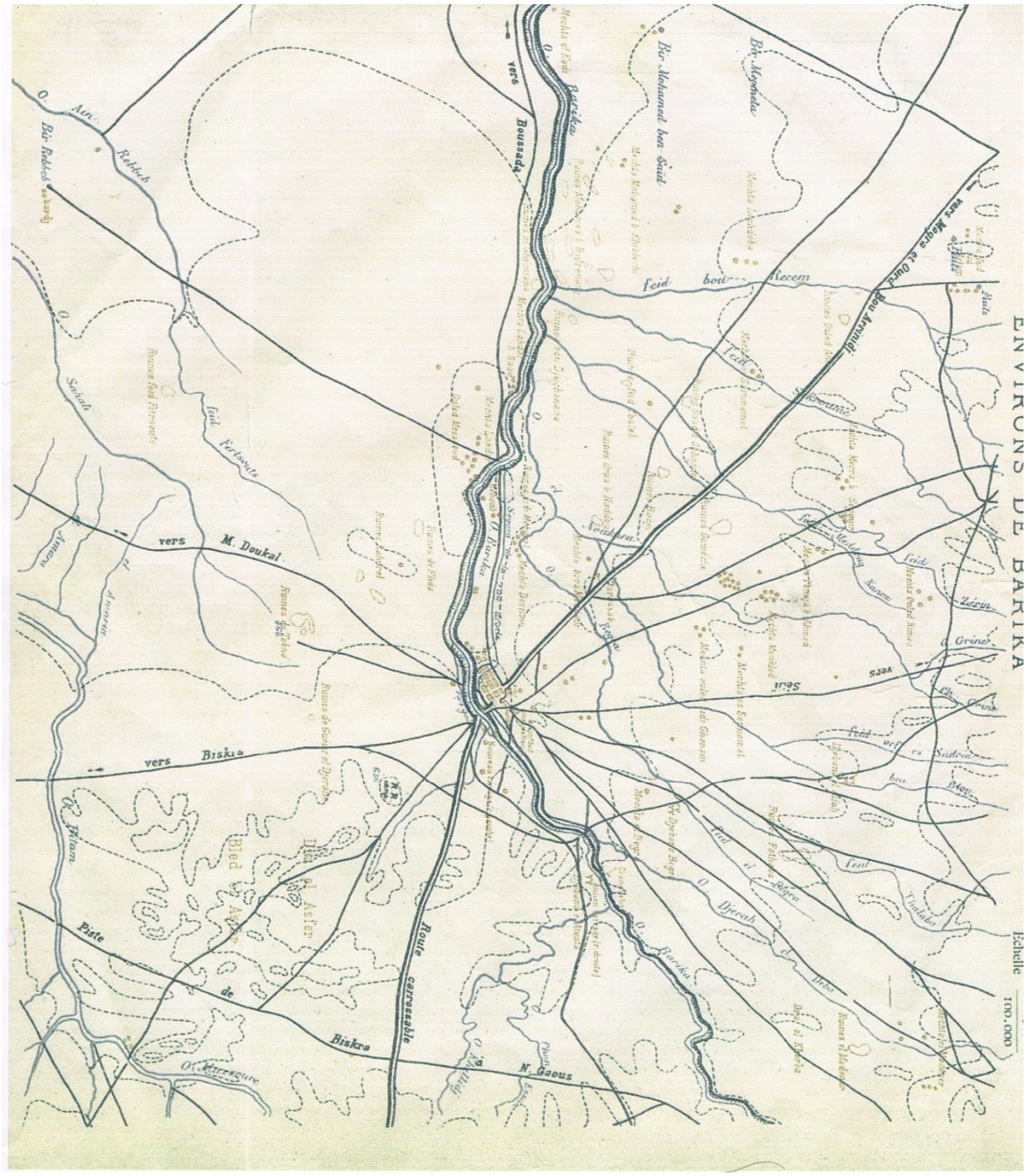

الملحق رقم (05): المسالك الرئيسية المتصلة بمدينة طبنة

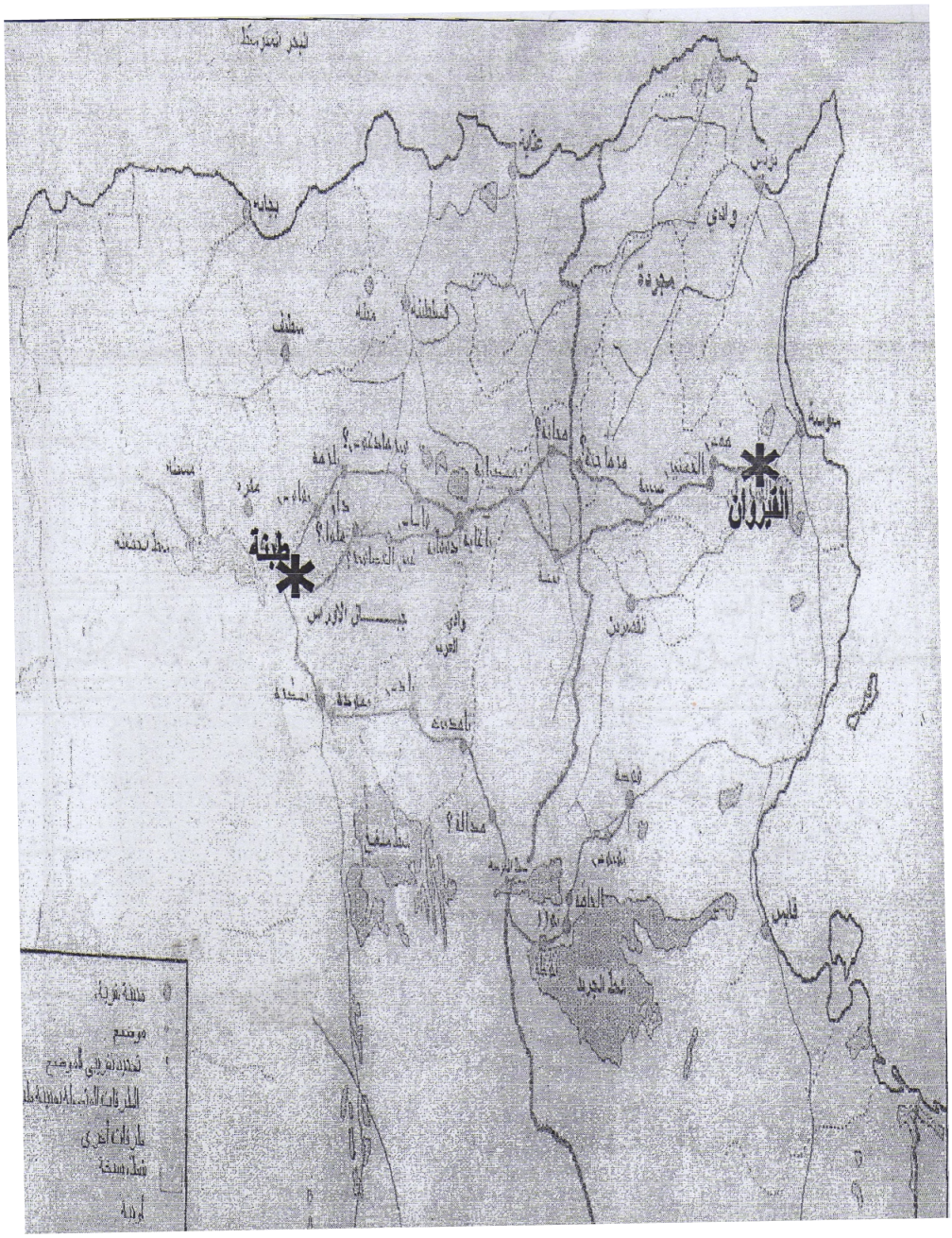

الملحق رقم (06): تخطيط حصن البيزنطي

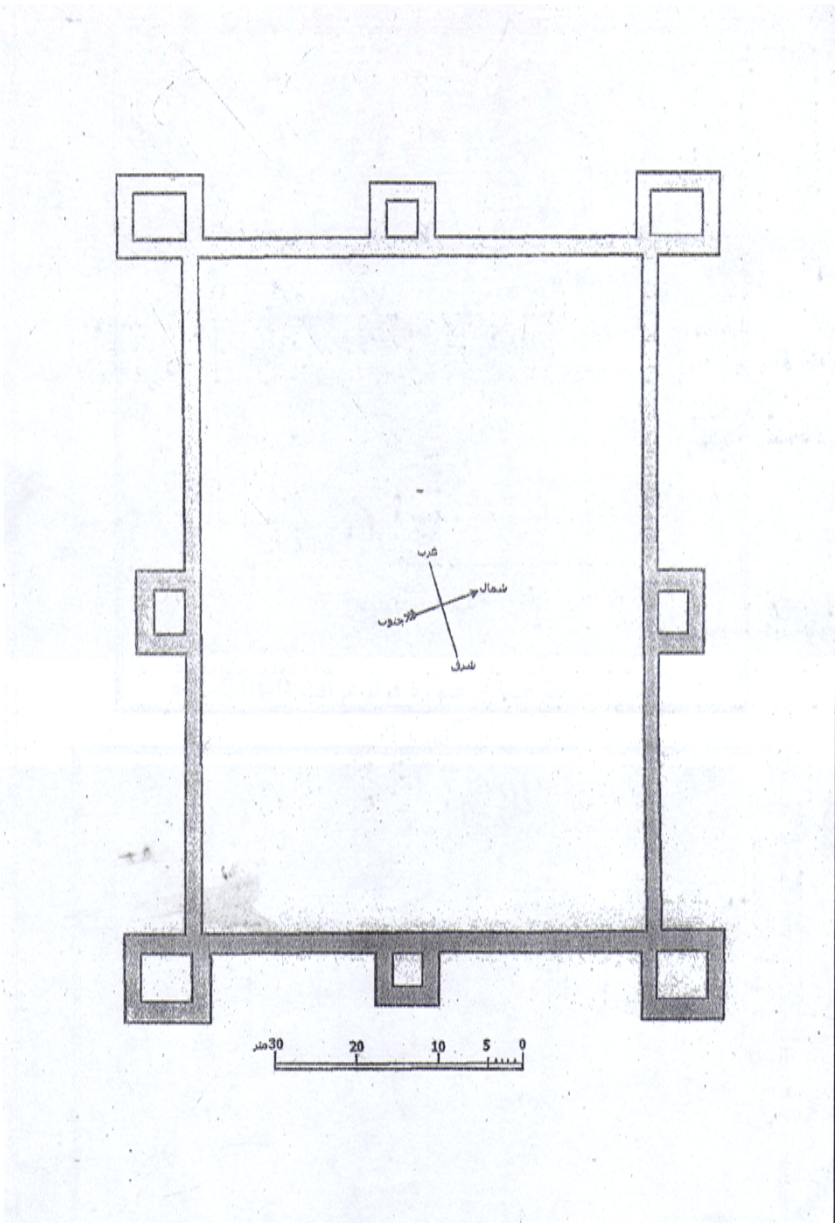

المصدر: Diehl (ch) ; L'Afrique Byzantine, TI, P 264

الملحق رقم (07): أبراج زوايا المسجد الشرقية والشمالية الشرقية

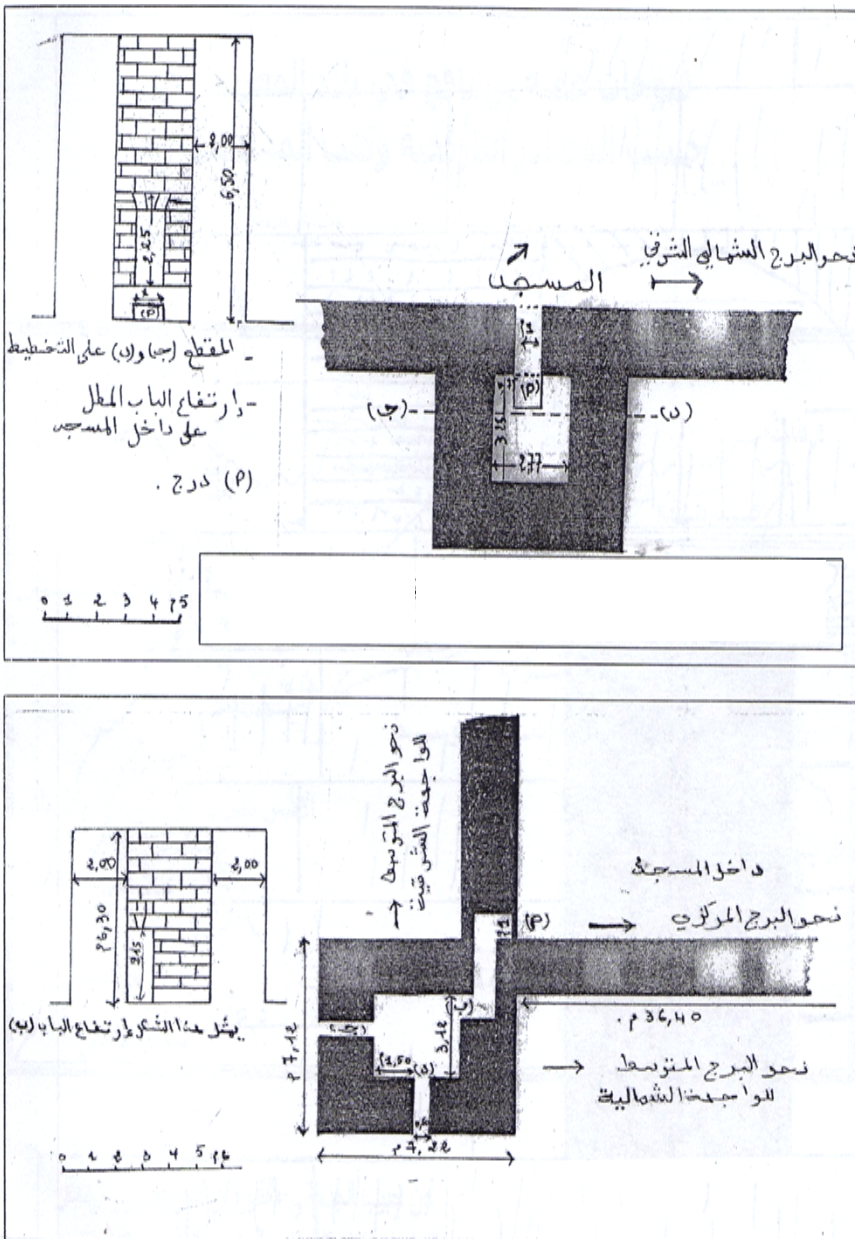

المصدر: Grange : Monographie de Tobna, Op cit, P61

قائمة المصادر والمراجع

– القرآن الكريم

المصادر:

1. ابن الآبار، أبو عبد الله، الحلة السيراء. ج1، تح: حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، 1985
2. ابن الأثير ابو الحسن بن ابي المكارم الشيباني. الكامل في التاريخ. ج1، ط:6، دار الكتاب العربي، بيروت
3. ابن الفقيه أبو عبد الله الهمذاني، كتاب البلدان. تح: يوسف الهادي، ط:1، عالم الكتب، بيروت، 1996
4. ابن القطان، نظم الجمان، تح:محمود علي مكي، تطوان،مطبعة المهدية،تونس
5. ابن المنظور، لسان العرب. ط1، دار صادر، بيروت
6. ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتيري، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق عباس، دار الثقافة، بيروت، 1997
7. ابن بشكوال، الصلة.ج1، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1989
8. ابن بصال، كتاب الفلاحة، تطوان، 1955
9. ابن حزم ابو محمدعلي بن أحمد، جمهرة أنساب العرب. تح:عبد السلام هارون،ط:2، دار المعارف، مصر، 1971
10. ابن حوقل، صورة الأرض. منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت
11. ابن خلدون، المقدمة.تح: عبد الله محمد الدرويش،ط:1،دار يعرب، دمشق،2004
12. ابن خياط خليفة، تاريخ خليفة بن خياط. تح: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت،1993
13. ابن عبد الحكم عبد الرحمن، فتوح إفريقية والأندلس. تح:عبد الله أنيس الطباع، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1987
14. ابن عبد ربه أحمد بن محمد، العقد الفريد. ج3،تح: محمد عبد القادر شاهين، المكتبة العصرية، بيروت، 2004

15. ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب.ج1، تح: ليفي بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، 1982.

16. أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم، طبقات علماء إفريقية. دار الكتاب اللبناني، بيروت، د ت

17. أبو الفضل الدمشقي، الإشارة إلى محاسن التجارة، تح البشيري الشوديجي، مطبعة الغد الإسكندرية، 1977

18. الإدريسي الشريف محمد بن عبد الله، نزهة المشتاق في اختراق الأفاق. ليدن، 1968

19. البكري أبو عبيد الله، المسالك والممالك. ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، 1992

20. البكري، المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب. مكتبة المثنى بغداد، بت.

21. الحميدي أبو محمد بن ابي نصر فتوح بن عبد الله الازدي الأندلسي، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس. تح: روحية عبد الرحمان السويفي، ط:1، دار الكتب العلمية

22. الحميري محمد عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار. تح: إحسان عباس، مؤسسة خاسر للثقافة. 1975.

23. الخشني القروي: قصاة قرطبة. تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1989

24. الداعي ادريس عماد الدين قريشي، عيون الأخبار وفنون الاثار في فضائل الأمة الأطهار. تح: مصطفى غالب، دار الأندلس، بيروت، دت

25. الدباغ، معالم الايمان في أهل القيروان. تح: ابراهيم شبوح، مصر، 1998.

26. الدرجيني أبو العباس احمد بن سعيد، طبقات المشايخ بالمغرب، ج2، تح: ابراهيم طلاي، مطبعة البعث، قسنطينة، 1974.

27. الرازي محمد ابن أبي بكر بن عبد القادر، مختار الصحاح. دار الكتب العالمية، بيروت، 1986

28. الرقيق أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم القيرواني، تاريخ إفريقية والمغرب. تح: عبد الله العلي الزيدان وعز الدين عمر موسى، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990

29. الطبري، تاريخ الأمم والملوك.ج1، ط1، دار الكتب العالمية، بيروت، 1987

30. عبد الرحمان ابن خلدون،العبر وديوان المبتدأ او الخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959

31. القاضي النعمان، دعائم الإسلام وذكر الحلال والحرام والقضايا والأحكام. ج1، تح:صف بن علي، ط:3، دار المعارف، القاهرة، 1969

32. القاضي النعمان، كتاب الاقتصار، تح: محمد وحيد ميرزا، المعهد الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1957

33. القاضي نعمان،افتتاح الدعوة. تح: وداد القاضي، دار الثقافة، بيروت، 1970

34. المالكي أبو بكر، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية وزهادهم ونساكهم وسير من أخبارهم وفضائلهم وأوصافهم. تح: بشير البكوش، ط:1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1994

35. مجهول،الاستبصار في عجائب الأمصار، تح:سعد زغلول عبد الحميد،دار النشر المغربية، الدار البيضاء،1985

36. المقديسي، شمس الدين ابو عبيد الله،احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم.ط:3،مكتبة مدبولي، القاهرة،1991

37. المقريزي ابو العباس تقي الدين احمد بن علي، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والاثار . تح:محمد اليعلاوي، ط:1، دار الغرب الاسلامي،بيروت،1991

38. الهواريٍ هود بن محكم الهواري، تفسير كتاب الله العزيز.ج1، تح: بالحاج بن سعيد شريفي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990

39. ياقوت الحموي،معجم البلدان. ج4، تح: فريد عبد العزيز، دار الكتب العلمية، بيروت، 1990.

40. اليعقوبي،أحمد بن ابي يعقوب،كتاب البلدان. تح: محمد أمين ضناوي،ط:1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002

المراجع:

1. ابو ضيف عمر مصطفى، القبائل العربية في المغرب في عصر الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982.

2. أبو منصور عبد الوهاب، قبائل المغرب. ج 1، المطبعة الملكية، الرباط، 1968

3. بوربية رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها.ديوان المطبوعات الجامعية، 1977

4. بوطالب محمد نجيب، سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي. ط:1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2002

5. حساني مختار: موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية(من الجنوب) ج2، دار الحكمة، الجزائر، 2007

6. حساني مختار، موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية. ج3، دار الحكمة، الجزائر، 2007

7. حسن حسني عبد الوهاب، بساط العقيق في حضارة القيروان. تونس، 1330

8. حسن حسني عبد الوهاب، ورقات عن الحضارة العربية بإفريقية التونسية. ج1، مكتبة دار المنار، تونس، 197

9. حسين مؤنس، الحضارة، دراسة في أصول وعوامل قيامها وتطورها. ط:2، عالم المعرفة، الكويت، 1998

10. دنون طه عبد الواحد، الفتح والاستقرار العربي الإسلامي في شمال إفريقية والأندلس. دار المدار الإسلامي، 2004

11. دودو أبو العيد، كتب وشخصيات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979

12. الزبيدي، طبقات النحويين واللغويين. ط:2، القاهرة، 1984

13. شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفدوس المفقود، دار النهضة العربية، بيروت، 2002

14. عثمان محمد عبد الستار، المدينة الإسلامية، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1988.

15. غانم محمد الصغير، مواقع ومدن أثرية، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، مديرية الدراسات التاريخية وإحياء التراث، الجزائر.

16. فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد – دراسة سياسية،عمرانية،اجتماعية،ثقافية ج2 دار النشر والتوزيع الجزائر 2002.

17. كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية،1997.

18. كنون عبد الله، النبوغ المغربي، المطبعة المهدية، تطوان، دت.

19. لقبال موسى، تاريخ المغرب الإسلامي. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

20. لقبال موسى،دور كتامة في الخلافة الفاطمية. الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1979.

21. مسعد سامية مصطفى، الحياة الاقتصادية في إقليم غرناطة أيام المرابطين والموحدين. مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003 .

22. مسعود كواتي، اليهود في المغرب الإسلامي من الفتح إلى سقوط دولة الموحدين. دار النهضة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2000.

23. يوسف جودت عبد الكريم، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين (9-10م). ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.

المجلات والدوريات:

1. بو سعد الطيب، دور علماء طبنة، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، ع3، غرداية،2008.

2. الجيلالي عبد الرحمان، شخصيات لامعة في الأوراس، الأصالة العدد 61/60، اوت، سبتمبر، 1978.

3. حاجيات عبد الحميد، التطور المذهبي بناحية الأوراس في العصر الوسيط، مجلة الأصالة، ع:60-61. أوت 1978.

4. حسناء منصر، طبنة عبر العصور. مذكرة ليسانس،جامعة باتنة، قسم التاريخ، 2011/2010.

5. كركجة فواز عائد جاسم،جوانب من بنية المدينة العربية الإسلامية ودواعي توثيقها.مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، مج:11، ع:1، 2011.

6. لقبال موسى، طبنة مدينة الزاب والاوراس في العصور الوسطى. الأصالة، ع60/61.

المراجع الأجنبية:

1. Atlas archéologiques de l'Algérie, texte, 3eme , Edition, Alger 1997.
2. Blanchet(p) Excursion archéologique dans le Hodna et le Sahara, recueil des mémoires de la société archéologique du département de Constantine, paris.1899.
3. Diehl(ch): l'Afrique byzantique, histoire de la domination byzantique en Afrique, Paris 1896.
4. Grange(R)," Monographie de Tobna",Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de département de Constantine, Jourdan libraire, Constantine Alger, libraire et colonial, paris , 1901.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة..... أ

المدخل: أصل تسمية مدينة طبنة ومجالها الجغرافي والتاريخي

أصل التسمية 6

المجال الجغرافي لمدينة طبنة 7

طبنة قبل الفتح الإسلامي 10

1-طبنة ما قبل التاريخ 10

2- طبنة في الفترة الرومانية والبيزنطية 10

3- طبنة في العهد الإسلامي 13

الفصل الأول: الأوضاع الاجتماعية لمدينة طُبنة

المبحث الأول: الفئات المعمرة لمدينة طُبنة..... 19

المبحث الثاني: عناصر المجتمع الطبني 25

المبحث الثالث: مظاهر الحياة الاجتماعية: 35

الفصل الثاني: الأوضاع الاقتصادية في مدينة طُبنة

المبحث الأول: المجال الاقتصادي..... 41

المبحث الثاني: الصناعة..... 43

المبحث الثالث: الزراعة 47

المبحث الرابع: التجارة 53

الفصل الثالث: الحياة الثقافية في مدينة طُبنة

المبحث الأول: أبرز علماء طُبنة..... 60

المبحث الثاني:أنواع العلوم بمدينة طُبنة 65

المبحث الثالث: المنشآت الإسلامية للمدينة 67

خاتمة 73

الملاحق 74

قائمة المصادر والمراجع 82

فهرس الموضوعات 90